

أثر العدل على الاوضاع العامة في الإمارة المروانية

في عهد الأمير نصر الدولة (401-453هـ / 1011-1061م)

أ.م.د. شقان عكيد عبدالله - جامعة دهوك - كلية التربية الأساس - قسم التربية الدينية

shivan.abdullah@uod.ac

أ.م.د. حكيم عبدالرحمن زبير - جامعة دهوك - كلية العلوم الإنسانية - قسم التاريخ

Hakeem.zubair@uod.ac

الاستلام (Received) : 26 / 07 / 2026 التعديل (Revision) : 13 / 08 / 2026

القبول (Accepted) : 20 / 08 / 2026 النشر (Published) : 30 / 09 / 2026

This work is licensed under a [Creative Commons Attribution](https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/)



[4.0 International License](https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/)

الخلاصة

تناول هذا البحث الموسوم (اثر العدل على الاوضاع العامة في الامارة المروانية في عهد الامير (نصر الدولة 401-453 هـ / 1010-1061م) أحد أهم واجبات الحاكم، ألا وهو العدل. فالعدل هو ما يُطلب من أي حاكم للحفاظ على سلطته بهدوء ومنع السخط الشعبي، لأن العدل أساس الحكم، كان الامير (نصر الدولة المرواني) اميرا عادلاً وفقاً لآراء معظم المؤرخين المعاصرين له، وقد استخدم هذه الصفة في حياته مع عائلته وأصدقائه ورعيته، لذلك، حكم الامارة المروانية لمدة (52) عاماً متواصلة، مما أثر على الاوضاع العامة في تلك الامارة بشكل ايجابي من الجوانب السياسية والأمنية والاقتصادية والعمرانية، ويعتبر عهده فترة ذهبية في تاريخ تلك الامارة.

ينقسم هذا البحث الى ثلاث محاور رئيسية فضلاً عن تمهيد واهم النتائج التي وصل اليها الباحثان اليه من خلال دراسة تلك البحث، في المحور الاول تناول الأوضاع العامة في الامارة المروانية قبل عهد الامير (نصر الدولة)، اما في المحور الثاني ناقش العدل عند الامير (نصر الدولة)، وفي المحور الثالث والاخير تحدثنا الى تأثير عدالة الامير (نصر الدولة) على الاوضاع العامة للإمارة المروانية.

الكلمات المفتاحية: (الأمير، العدالة، السلطة، نصر الدولة، الإمارة)

Abstract

The study "The Impact of Justice on the General Conditions in the Marwanid Emirate during the Reign of Prince Nasr al-Dawla (401-453 AH / 1010-1061 AD)," tackles one of the most crucial responsibilities of authorities: justice. Since justice is the cornerstone of governance, it is necessary for any ruler to uphold his power in a peaceful manner and avert popular unrest. The

majority of modern historians believe that Prince Nasr al-Dawla al-Marwani was a just ruler. He exhibited this trait in his interactions with his neighbors, family, and friends. As a result, he controlled the Marwanid Emirate continuously for 52 years, which had an impact on the general political, security, economic, and urban conditions of that emirate. Prince Nasr al-Dawla's reign is regarded as a golden age in the history of the emirate

Along with an introduction and the key findings that the researchers discovered while conducting this investigation, this research is organized along three primary axes. We addressed the state of justice in the Marwanid Emirate prior to the Prince (Nasr al-Dawla) reign in the first axis. We talked about justice under Prince Nasr al-Dawla's rule in the second axis. We discussed how Prince Nasr al-Dawla's justice affected the overall state of the Marwanid Emirate in the third and last axis

Keywords: (The Prince, Justice, Authority, Nasr al-Dawla, The Emirate)

المقدمة:

أولى مصادر الشريعة الإسلامية أهمية بالغة للعدالة لما لها من دور كبير في نظام الحكم. وهناك العديد من الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة التي تحث الإنسان على ترسيخ العدالة في الحكم، بل إنها ألزمت الحاكم المسلم بتحقيق العدل بين الناس، وإدارة شؤونهم ورعاية أحوالهم؛ فالعدالة هي الأساس والركيزة الأساسية للحكم الرشيد والإدارة السليمة، وهي المحرك الأساسي لتقدم الحضارة وازدهارها.

وامتثالاً لأوامر الله عز وجل وسنة نبيه (صلى الله عليه وسلم)، سار العديد من الحكام والأمراء والسلاطين والخلفاء المسلمين على نهج العدالة في إدارة سلطتهم، وغدا بعضهم نموذجاً يُحتذى به للحاكم العادل وصاحب الضمير الحي. ويُعد (أحمد بن مروان 401-453هـ / 1010-1061م) المعروف بـ (نصر الدولة المرواني)، أحد الأمراء الكورد البارزين في الإمارة الدوستكية - المروانية (373-479هـ / 983-1086م)، حيث استمر حكمه لأكثر من نصف قرن، ويُعتبر من الشخصيات التي اشتهرت في التاريخ الكوردي بالأمير العادل. وقد أشاد المؤرخون المعاصرون له والذين جاؤوا من بعده بالازدهار الحضاري والسياسي والعسكري الذي شهدته الإمارة المروانية في عهد الأمير (نصر الدولة).

ومن هذا المنطلق، تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على هذه الحقيقة والسمعة الطيبة التي نالها الأمير المذكور بفضل عدالته في إدارة إمارته، فضلاً عن بيان أثر عدالته على كافة مجالات الحياة العامة في عصره، ليكون نموذجاً يُستلهم منه لنصح كل من يسعى للنجاح في حكم وإدارة شعبه وبلاده.

تتضمن هذه الدراسة تمهيداً حول مفهوم (العدالة في الحكم) في الإسلام، إلى جانب ثلاثة محاور رئيسية: يتناول المحور الأول نبذة تاريخية عن الإمارة المروانية قبل عهد الأمير (نصر الدولة)، ويسلط المحور الثاني الضوء على مقتضيات ومظاهر العدالة لدى الأمير (نصر الدولة)، في حين يركز المحور الثالث والأخير على أثر عدالة الأمير (نصر الدولة) على الأوضاع العامة للإمارة المروانية. وفي ختام الدراسة، تم استعراض أبرز النتائج التي توصل إليها البحث.

التمهيد: مفهوم العدل ودوافعه عند حكام المسلمين

أولاً: تعريف العدل لغة واصطلاحاً

أ : تعريف العدل لغة

اطلق علماء اللغة كثيراً من التعريفات على مادة (العدل) تبعاً لورود استعمالها، وأقتضاءً لاشتقاقاتها لذا كانت هناك معان عدة متفاوتة، بين ما يغلب استعماله وما يندر ⁽¹⁾، فقد جاء في قاموس المحيط: ((الْعَدْلُ: ضد الجور وما قام في النفوس انه مستقيم كالعدالة والعدولة والمعدلة والمعدلة. وعدله يعدله وعادلته: وازنه، والعدل: المثلُّ النظيرُ كالعدل والعدل، والاعتدالُ تَوَسُّطُ حالٍ بين حالين)) ⁽²⁾. وعدل الشيء اقامه وسواه يقال عدل المكيال والميزان والحكم، والعدل: ((الانصاف، هو اعطاء المرء ماله واخذ ما عليه)) ⁽³⁾.

وفي لسان العرب: ((الْعَدْلُ من الناس المرضيُّ قوله وحكمه، قال تعالى في موضعين: ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ ⁽⁴⁾، وقال ﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ ⁽⁵⁾، و (العدالة)، (العدولة)، (المعدلة) و (المعدلة) كله العدل، وما قام في النفوس انه مستقيم، وهو ضد الجور، وعدل الحكم: اقامه... وفلان يعدل فلاناً اي يساويه والعدل والعدل: المثل، وعادلته وازنه وعادلت بين الشيئين وعدلت فلاناً بفلان وإذا سويت بينهما وتعدّل الشيء تقويمه...)) ⁽⁶⁾.

ب / تعريف العدل اصطلاحاً

بما أن العدل او العدالة من القيم والمبادئ الشرعية في الاسلام والتي حث القرآن الكريم على الالتزام بها في كافة الشؤون الحياة فقد عرفها المفكرون المسلمين تعريفاً شرعياً اي وفق ما جاء في القرآن الكريم حيث وردت كلمة العدل فيها في ثمانية وعشرين موضعاً بمعان مختلفة ⁽⁷⁾، على هذا فالمعنى الاصطلاحي الشرعي للعدل لا يختلف كثيراً عن معنى اللغوي التي تعني الانصاف والاستقامة والمساواة واعطاء المرء ماله وما عليه- كما ذكرنا آنفاً- فقال الجرجاني: ((ان العدل لغة: الاستقامة، وفي الشريعة: الاستقامة على طريق الحق، والبعد كما هو محظور)) ⁽⁸⁾.

وبالنظر الى لفظة العدل بحسب استعمالاتها في القرآن الكريم يمكن القول انها وردت في سياق الحديث عن السلوك الفردي الخاص، ووردت ايضاً في سياق الحديث عن تنظيم حياة الناس العامة في علاقاتهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية⁽⁹⁾، فقال تعالى: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾⁽¹⁰⁾، وقال: ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ﴾⁽¹¹⁾.

يتبين مما سبق ان المعنى الاصطلاحي الشرعي الدقيق للعدل حسب الاستعمال القرآني تتنوع وفق استعمالاتها في العديد من المجالات وفي كل شؤون الحياة الخاصة والعامة السياسية والاجتماعية والقانونية وكافة مجالات الحياة التزاماً بالمنهج الذي رسمه الاسلام للناس او بعبارة أخرى هي الاستقامة في جميع شؤون الحياة على ما جاء به الاسلام، فالعدل ((هو كل ما دل عليه الاسلام -الكتاب والسنة النبوية- سواء في المعاملات المتعلقة بالحدود او غيرها من الاحكام، فإن العدل في كل ذلك هو ما جاء في الكتاب والسنة، فإن عادة ما نهى عنه الكتاب و السنة يعود الى تحقيق العدل))⁽¹²⁾، وأن السياسة العادلة هي جزء من اجزاءها وفرع من فروعها⁽¹³⁾.

وبما ان الاشياء تعرف بأضدادها ايضاً فنقيض العدل هو الظلم، ويعني ((وضع الشيء في غير موضعه المختص به إما بنقصان او بزيادة، وإما بعدول عن وقته او مكانه⁽¹⁴⁾).

ثانياً: دوافع العدل عند حكام المسلمين

اقبل حكام المسلمين في صدر الاسلام والعصور الاسلامية الوسطى على تطبيق العدل اثناء حكمهم التزاماً بأوامر الله تعالى التي تدعو الى العدل فقال جل جلاله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾⁽¹⁵⁾، يقول (الطبري) في تفسير هذه الآية: ((إن الله يأمركم يا معشر ولاية أمور المسلمين، أن تردوا الأمانات إلى رعييتكم؛ من غنائمهم، وحقوقهم، وأموالهم وصدقاتهم، تردوها إليهم على أساس ما أمركم الله به من إيصال كل شيء إلى أهله بعد أن صار تحت أيديكم، وأن لا تظلموا أصحابها، ولا تستأثروا بشيء منها لأنفسكم، ولا تضعوا شيئاً منها في غير موضعه، ولا تأخذوها إلا بحق، مما أذن الله لكم فيه من قبل أن تقع تحت أيديكم، ويأمركم إذا حكمتم بين رعييتكم، أن تحكموا بينهم بالعدل والإنصاف، وهو حكم الله الذي أنزله في كتابه، وبينه على لسان نبيه، فلا تخرجوا عن ذلك فتكتموا الحق وتظلموهم))⁽¹⁶⁾.

الملك والسلطان كالبناء، والعدل هو أساس هذا البناء وقاعدته. فإذا كان الأساس قوياً، استمر البناء ودام، أما إذا كان الأساس ضعيفاً، فسيهوي البناء ويسقط. إذ لا يمكن لأي حاكم أن يستقر في السلطة دون وجود جيش قوي، والجيش بدوره يحتاج إلى المال والمتاع، والمال لا يُجمع دون جباية

الضرائب والخراج العام، ولا تتحقق الجباية والعمران إلا بالعدل، وبناءً على ذلك، فإن العدل هو أساس كل شيء (17).

بناءً على ما أشرنا إليه في الأعلى، فإن الحكام والمسؤولين المسلمين أولوا اهتماماً وعنايةً بالغةً بتحقيق العدالة؛ وذلك التزاماً بأوامر الله سبحانه وتعالى التي وردت في القرآن الكريم والتي تدعو الإنسان إلى العدل، كما يأمر الله تعالى في آية من القرآن الكريم ويقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ (18)، كذلك يحذر الإنسان من اتباع الأهواء النفسية لكي لا ينحرف عن الطريق المستقيم، كما يقول تعالى: ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلُوتُوا أَوْ نَعِرْضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (19)، وكذلك يصف بعضاً من عباده قائلاً: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ (20)، وفي آية أخرى يؤكد على أهمية العدل كأقرب طريق للتقوى: ﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (21). إن تأخير وتحقيق العدالة هو في حد ذاته نوع من الظلم لذلك، كان الخوف من العقاب الشديد من الله تعالى تجاه الظالمين دافعاً رئيسياً للحكام لكي يتجنبوا الانتهاكات ويثبتوا العدالة، كما يقول الله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾ (22)، وكذلك يحذرنا الله تعالى ويقول: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ (23)، وفي آية أخرى عن تأخير العقوبة يقول تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (24)، كذلك يقول تعالى: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (25)، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾، وفي آخر آيتين عن تضرر الظالمين، يقول: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾ (26).

من دوافع الأخرى التي حثت الحكام المسلمين على تطبيق العدالة هي رغبتهم في الاقتداء بأفعال رسول الله محمد (صلى الله عليه وسلم) في تحقيق العدل؛ تلك الأفعال التي تحت الحكم على العدل وتحذرهم من الظلم. وكما وصفه الله عز وجل، فقد كان النبي ألين الناس، وأشجعهم، وأعدلهم، وأعفهم (27).

وكذلك الالتزام بأحاديث النبي (صلى الله عليه وسلم) التي تؤكد على العدالة والابتعاد عن الظلم، فقد كان حكام المسلمين مخلصين في تحقيق العدالة استجابةً لأوامره وتوجيهاته، كما أشار النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى العدالة في هذه الأحاديث حيث يقول: ((إن أحب الناس إلى الله يوم القيامة، وأدناهم مني مجلساً: إمام عادل، وأبغض الناس إلى الله، وأبعدهم منه مجلساً: إمام جائر)) (28) في هذا الحديث،

يتحدث النبي (صلى الله عليه وسلم) عن الحاكم العادل، وأنه إذا عدل سيكون أحب الناس إلى الله، أما إذا ظلم فسيكون أئوهم وأقلهم قيمة عنده.

وفي حديث آخر قال النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ((سبعة يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله، اولهم امام عادل))⁽²⁹⁾، كما قال ايضاً: ((إن المقتطين عند الله على منابر من نور، عن يمين الرحمن عز وجل وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا))⁽³⁰⁾.

وكذلك فإن تأثير كلمات ونصائح العلماء والحكماء والكتاب والشعراء على أصحاب السلطة من أجل تطبيق العدالة في حكمهم، كان من الأسباب المهمة التي دفعت الحكام والولاة إلى توشي العدل، ففي كثير من الأحيان كانت كلمة واحدة منهم كفيلة بأن تلين قلوب أصحاب السلطة، وتصرفهم عن أعمال الظلم إلى العدالة، وتجعلهم يتراجعون عن قراراتهم، كما أن أولئك العلماء قد ألفوا كتباً حول كيفية وأسلوب إدارة الحكم من قبل الحكام، وأكدوا في تلك الكتب على تحقيق العدالة وتطبيقها، على سبيل المثال (الماوردي)⁽³¹⁾ كتابا (نصيحة الملوك) و(الأحكام السلطانية والولايات الدينية) تم تأليفهما ليتناولوا الصفات المهمة التي يجب أن تتوفر في الشخص الحاكم، وأبرزها العدل⁽³²⁾، كذلك (الشيروزي)⁽³³⁾ ألف كتاب (النهج المملوك في سياسة الملوك) وأهدي إلى السلطان (صلاح الدين الأيوبي 532-589 هـ / 1138-1193 م)، وحين يتحدث فيه عن الخصال الحميدة التي يجب أن تتوفر في الحكام، فإن الخصلة الأولى هي العدل⁽³⁴⁾.

لتحقيق الأمن والرفاهية لبلدانهم، لجأ الحكام في التاريخ الإسلامي إلى تطبيق العدل في حكمهم، لأن العدل في السلطة هو وحده الكفيل بطمأنينة الشعب، وبث الأمان بين الحاكم ورعيته. وعندما أرسل قيصر الروم وفداً إلى الخليفة الراشدي الثاني (عمر بن الخطاب، 13-23 هـ / 634-644 م، رضي الله عنه) للاطلاع على أحوال البلاد وأوضاع الدولة الإسلامية، وجد الوفد عند وصوله أن (عمر) مستلقٍ على ظهره ونائم، واضعاً رتته (عصاه) أمامه ومتوسداً وسادة بسيطة. عندها قال لوزير الخليفة: ((عدلت فأمنت فمنت)). أي أن عدالة (عمر) كانت السبب في أن ينام أعلى سلطة ورئيس الدولة دون وجود حراس، ودون أن يملكه أي خوف⁽³⁵⁾.

وكذلك في عهد الخليفة الأموي (عمر بن عبد العزيز 99-101 هـ / 717-720 م)، أرسل إليه المسؤول عن مدينة (حمص) رسالة يقول فيها: إن المدينة قد خربت وهي بحاجة إلى الإصلاح والإعمار، فأجابه الخليفة (عمر) في رد على رسالته قائلاً: ((حصن مدينتك بالعدل، ونق طرقها من الظلم))⁽³⁶⁾، أي أنه يتبين هنا أيضاً أن بناء وحفظ الأمن والاستقرار في الدول يكون من خلال تحقيق العدالة، تماماً كما يقول (ابن تيمية): «إن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا يقيم الظالمة وإن

كانت مسلمة، الدنيا تدوم مع العدل ولا تدوم مع الظلم والإسلام؛ أي أن الله سيحفظ الدولة العادلة حتى وإن لم تكن مسلمة، ولن يحفظ دولة إذا كانت ظالمة حتى وإن كانت مسلمة⁽³⁷⁾، كذلك يؤكد (ابن خلدون) على هذا الأمر بضرورة وجود العدالة في الوطن حينما يقول: ((إن الملك لا يتم عزه إلا بالشرعية، والقيام لله بطاعته، والتصرف تحت أمره ونهيه، ولا قوام للشرعية، إلا بالملك، ولا عز للملك إلا بالرجال، ولا قوام للرجال إلا بالمال، ولا سبيل إلى المال إلا العمار، ولا سبيل للعمار إلا بالعدل))⁽³⁸⁾.

في عهد الخليفة العباسي (هارون الرشيد ١٧٠-١٩٣هـ/٧٨٦-٨٠٩م)، قام الخليفة بسجن الشاعر (أبو العتاهية)⁽³⁹⁾ أقسم سجانه على عدم إطلاق سراحه، مما دفع أبو العتاهية لكتابة أبيات شعرية على جدار سجنه تعبيراً عن ضيقه كما قال:

أما والله إن الظلم شؤم	وما زال المسيء هو الظلوم
تتألم، ولم تتم عنك المنايا	تَنبَّهَ للمنية يا نوؤم
إلى ديان يوم الدين نَمضي	وعند الله تجتمع الخصوم ⁽⁴⁰⁾

في هذه الأبيات، وجّه الشاعر عتابه إلى الله تعالى قائلاً إن موعدنا هو يوم القيامة، ذلك اليوم الذي تظهر فيه الحقائق ويجتمع فيه الخصوم معاً. وعندما سمع الخليفة هذا الكلام، بكى بكاءً شديداً وأمر بإطلاق سراح (أبي العتاهية)، ثم استدعاه إلى مجلسه وأعطاه ألف دينار، كما دفع الخليفة كفارة يمينه أيضاً. ويتبين من هذا مدى التأثير الكبير الذي كان يمتلكه هؤلاء الأشخاص من خلال كلماتهم وقصائدهم⁽⁴¹⁾.

لقد كانت هذه الأسباب وغيرها دافعاً للسلطات في ممارسة حكمها للجوء إلى تحقيق العدالة والابتعاد عن الظلم والاستبداد، وذلك من أجل الحفاظ على سلطتهم ونيل رضا الله؛ لأنهم كانوا يعلمون أنهم إن لم يفعلوا ذلك، فسيقعون تحت طائلة غضب الله وسخط شعبهم، وبالتالي ستزول سلطتهم.

المحور الأول: نبذة عن الإمارة المروانية قبل عهد الأمير (نصر الدولة)

تأسست الإمارة المروانية كإمارة كُردية في إقليم الجزيرة، حيث ظهرت تحديداً في منطقة ديار بكر، ثم توسع نفوذها وسلطتها لتشمل مدن (ميافارقين، نصيبين، أرجيش، خلاط، ماردين، بدليس، وجزءاً من أرمينيا). وكانت هذه الإمارة تجاور الدولة العباسية من الجنوب، والإمبراطورية البيزنطية من الشمال والشمال الشرقي، بينما كانت تحدها من الغرب والجنوب الغربي الخلافة الفاطمية في بلاد مصر والشام. وفيما يتعلق بتاريخ هذه الإمارة قبل وصول الأمير (نصر الدولة) إلى سدة الحكم، فإنه يمكننا تقسيمه إلى ثلاث مراحل:

1/ مرحلة التأسيس على يد الأمير باد الكردي (373 - 380 هـ / 983 - 990 م)

يُعرف الأمير باد الكردي، واسمه (أبو عبد الله الحسين بن دوستك المعروف بـ باد بن دوستك)، بأنه مؤسس هذه الإمارة وكان زعيماً لعشيرة "حاربختي" في منطقة حيزان ومعدن. واستطاع بقوته وشجاعته أن يجمع عدة عشائر كردية أخرى، مثل الحميدية والبشوية، تحت رايته⁽⁴²⁾، بعد وفاة (عضد الدولة البويهى)⁽⁴³⁾ لـ سالّا (372 م / 982 م)، بدأ الأمير باد (باد) بتوسيع نفوذه وسلطته حيث تمكن من السيطرة على مدن (ميفارقين، آمد، نصيبين، وجزيرة ابن عمر)⁽⁴⁴⁾.

الامير (باد) انتصر في معركتين كبيرتين عام (373 هـ / 983 م) على الجيش البويهى، لا سيما في معركة قرية "باجلا" الواقعة على خابور الحسينية (شرق زاخو) هذا الانتصار مهد الطريق لإعلان سلطة مستقلة⁽⁴⁵⁾، في سنة (380 هـ / 990 م)، تدهورت العلاقات بين (أبو طاهر وأبو عبد الله) ابني (ناصر الدولة الحمداني)⁽⁴⁶⁾ وبين الأمير (باد) على إثر ذلك، شن الأمير (باد) هجوماً على مدينة (الموصل) بهدف السيطرة عليها، ودخل في حرب ضد الحمدانيين وحلفائهم من العرب (بني عقيل) في عام (380 هـ / 990 م). وفي تلك المعركة، سقط الأمير عن ظهر بغلته وقُتل⁽⁴⁷⁾.

عندما هاجم الأمير (باد) مدينة (الموصل) في عام (380 هـ / 990 م)، وسقط خلال المعركة من على ظهر جواده مما أدى إلى وفاته، قُطع رأسه ثم عُلق على بوابة المدينة. ولكن، انتفض أهالي (الموصل) ضد هذا الفعل ورفضوا إهانة جسده، قائلين: ((هذا رجل مجاهد، لذا لا يجوز التمثيل بجثته)). وبناءً على ذلك، أنزلوا جثمان الأمير (باد)، ثم كفنوه وصلوا عليه وواروه الثرى، حيث أظهر له عامة الناس حباً وتعاطفاً كبيراً ونادراً⁽⁴⁸⁾، يتحدث (الروذراوري) عن هذا التغيير في موقف الشعب تجاه الأمير (باد)، قائلاً: ((ما كان طريفاً بل لا يستطرف من الغوغاء تناقض الاهواء ولا يستنكر للرعاع اختلاف الطبائع وهم أجراً الخلق اذا طمعوا وأخبئهم اذا قُمعوا))⁽⁴⁹⁾.

يقول المؤرخ (ابن الأثير) عن الأمير (باد): ((وكان ابتداء أمره أنه كان يرعى الغنم، وكان كريماً جواداً، وكان يذبح الغنم التي له ويُطعم الناس، فظهر عنه اسم الجود، فاجتمع عليه الناس، وصار يقطع الطريق، وكلما حصل له شيء أخرجه، فكثُر جَمعه، وصار يغزو، ثم إنه دخل أرمينية، فملك مدينة أرجيش، وهي أول مدينة ملكها، فقوى بها، وسار منها الى ديار بكر، فملك مدينة آمد، ثم ملك مدينة ميفارقين، وغيرها من دياربكر وسار الى الموصل))⁽⁵⁰⁾، ويتضح لنا من شهادة هذا المؤرخ أن الأمير باد كان رجلاً كريماً وعادلاً، يحب لغيره ما يحب لنفسه؛ ولهذا السبب نجح في تحوله بمدة قصيرة من راعٍ للغنم إلى المؤسس الحقيقي للإمارة الدوستكية المروانية.

٢. انتقال السلطة إلى العائلة المروانية: الأمير (أبو علي الحسن ٣٨٠ - ٣٨٧ هـ / ٩٩٠ - ٩٩٧ م) بعد مقتل الأمير (باد)، تسمي جميع المصادر التاريخية هذه الإمارة باسم "الإمارة المروانية" (إمارة بنو مروان)، وذلك لعدة أسباب رئيسية: صلة القرابة: جميع الذين تولوا الحكم هم أبناء (مروان بن كك الحاربي)، وهو زوج شقيقة الأمير باد. أنجبت شقيقة الأمير باد من مروان أربعة أبناء، وهم: (أبو علي الحسن، سعيد، أحمد، وكك). تسلسل الحكم: تولي الثلاثة الأوائل منهم (الحسن، سعيد، وأحمد) السلطة في الإمارة بالتناوب وبشكل متتالي، واحدًا تلو الآخر (51).

بعد مقتل الأمير (باد)، عاد ابن أخته الأمير (أبو علي الحسن بن مروان) مع من تبقى من الجيش إلى ديارهم. في ذلك الوقت، كانت زوجة الأمير (باد) متواجدة في قلعة (حصن كيفا)، فطلب منها الأمير (أبو علي) فتح أبواب القلعة له ليتمكن من جمع جيش جديد. تمكن الأمير إثر ذلك من بسط نفوذه وتثبيت سلطته على (ميفارقين، آمد) ومدن أخرى كما نجح في إقناع أرملة خاله الأمير (باد) بالزواج منه، وبهذه الطريقة استطاع الحفاظ على أملاك الإمارة الدوستكية ومنح الشرعية لحكمه، لينتقل بذلك زمام السلطة رسمياً من العائلة الدوستكية إلى العائلة المروانية (52).

تزوج الأمير أبو علي من ابنة أمير حلب (سعد الدولة الحمداني ٣٥٦ - ٣٨١ هـ / ٩٦٧ - ٩٩١ م) من أجل تحقيق الاستقرار في علاقاته، ولكن أثناء مراسم الزفاف (أو نقل العروس) حدثت بعض المشاكل، مما أدى إلى عدم إتمام هذا الزواج (53)، بالإضافة إلى ذلك، في عام (382 هـ / 992 م) دحر هجوماً للروم (البيزنطيين) الذين كانوا قد شنوا هجوماً على مدن (خلاط، وملاذكرد، وأرجيش، وبركري)، حيث تمكن الأمير من القضاء على هذا الهجوم وتوقيع هدنة مدتها 10 سنوات معهم (54)، في عام (387 هـ / 997 م)، وبسبب خوف أهالي آمد (ديار بكر) من العنف، تم تدبير مؤامرة من قبل قادة المدينة (ابن عبد البر وابن دمنة)، وأسفرت عن اغتيال الأمير (أبو علي) عند بوابة المدينة (55).

يقول المؤرخ (محمد أمين زكي) متحدثاً عن عدالة الأمير (أبو علي حسن) في عهد إمارة دوستك المروانية: ((كان الأمير أبو علي كريم الاخلاق سمحاً وقد اشتهر بين الناس بالبشاشة واللطف وإقامة العدل بينهم بالقسطاس المستقيم، فأحبته الرعية)) (56).

٣. الدولة المروانية في عهد الأمير ممهد الدولة سعيد (387 - 401 هـ / 997 - 1010 م):

الأمير أبو منصور سعيد، الملقب بـ (ممهد الدولة)، هو شقيق الأمير أبو علي، ويُعد الأمير الثاني للدولة المروانية. الذي اتخذ من مدينة (ميفارقين) عاصمةً لإمارته. نجح في تحسين العلاقات الخارجية وتوطيدها، وبناء روابط قوية مع القوى الكبرى في عصره أقام علاقات متينة مع الإمبراطور البيزنطي (باسيل الثاني 976 - 1025 م) وثق صلاته بالخليفة العباسي (القادر بالله 381 - 422 هـ / 991 - 1031 م) بنى علاقات قوية مع الخليفة الفاطمي (الحاكم بأمر الله 386 - 411 هـ / 996

- 1020 م)⁽⁵⁷⁾، تزوج الأمير المرواني ممهد الدولة (أبو منصور سعيد بن مروان) من ست الناس، وهي ابنة الأمير الحمداني سعد الدولة حاكم حلب⁽⁵⁸⁾

بعد أن استقرت الأوضاع وتحسنت أحوال الناس المعيشية، وطوّدت علاقات طيبة مع الجوار، بدأ بجهود الإعمار والبناء. حيث أولى عناية فائقة لإعادة إعمار مدينة ميفارقين، وشملت أعماله تجديد سور المدينة وبناء بوابات جديدة (مثل بوابة قلوّفج). وفي هذا السياق، يذكر المؤرخ الفارقي: ((رأيتُ اسمه مكتوباً على اثنين وعشرين برجاً من أبراج تلك المدينة))⁽⁵⁹⁾.

كان الأمير (ممهد الدولة) يثق ثقة عمياء بحاجبه (شروة بن مم). وكان لـ (شروة) خادم يُدعى (ابن فيلوس)، تم تعيينه من قبله مديراً للشرطة غير أن الأمير (ممهد الدولة) كان يكنّ ضغينة وكرهية شديدة لـ (ابن فيلوس) وعندما علم الأخير بهذا الكره الشديد، بدأ يحرض (شروة) على الإطاحة بالأمير، مؤكداً له أنه إن لم يبادروا بقتله، فسيقوم الأمير بالقضاء عليهم. وعلى الرغم من رفض (شروة) للأمر في البداية، مذكراً بفضل الأمير الكبير عليه، إلا أن (ابن فيلوس) لم يستسلم، وظل يوسوس في أذن (شروة) ويوغر صدره ضد الأمير. وفي عام (401 هـ / 1010 م)، وفي قلعة (هيتاخ) التي كان الأمير قد أهداها لـ (شروة)، وُضعت الخطة بعد مأدبة طعام كبرى؛ حيث طلب (شروة) من (ابن فيلوس) ومجموعة من المقاتلين الوقوف عند بوابة الحصن، ومنع أي شخص من الدخول مع الأمير وبعد إفراط الأمير في الشرب، توجه إلى فراشه واستغرق في النوم عندها قال (ابن فيلوس) لـ (شروة): "لقد حانت الفرصة". فرد عليه (شروة): "والله لا أستطيع فعل ذلك". فقال (ابن فيلوس): "إن لم تقتله، فسيفضي علينا". فقال (شروة): "والله لن أفعلها، وإن شئت فاقتله أنت فاقتحم (ابن فيلوس) غرفة الأمير شاهراً سيفه، وهجم على الأمير (ممهد الدولة) وأرداه قتيلاً⁽⁶⁰⁾.

بعد هذا الحدث، تمكّن (أحمد بن مروان) -الذي عُرف لاحقاً بالأمير (نصر الدولة) وهو شقيق الأمير (ممهد الدولة)- وبمساعدة ودعم والي مدينة أرزن (الخواجة أبو القاسم)، من الخروج من السجن وإنقاذ نفسه من مؤامرات شروة، وبسط سيطرته على الحكم، حيث وصلت الإمارة المروانية تحت حكمه إلى ذروة تطورها وعصرها الذهبي من النواحي كافة نتيجة السياسة العدالة التي اتبعها⁽⁶¹⁾، وهو ما سيظهر جلياً في المحاور القادمة من هذا البحث.

المحور الثاني: العدالة عند الأمير (نصر الدولة).

أولاً: نبذة مختصرة عن الأمير (نصر الدولة) وكيفية توليه السلطة.

الأمير (نصر الدولة) واسمه (أحمد بن مروان بن لكك الحاربي)، وهو الابن الثالث لمروان. وقد اتفقت جميع المصادر التاريخية على أن الأمير المذكور قد أصبح حاكماً للإمارة المروانية بعد أخيه الأمير (مهد الدولة) في عام (٤٠١ هـ / ١٠١٠ م) ⁽⁶²⁾.

أما بالنسبة لحياة الأمير (نصر الدولة) قبل أن يتولى السلطة في الإمارة المروانية، فإن المصادر لا تقدم الكثير من المعلومات عنها، باستثناء الإشارة إلى أن خالهم الأمير (باز الكردي) كان يأخذهم معه إلى الحروب. كما أن المصادر لا تبين ما إذا كان الأمير (نصر الدولة) قد تولى أي منصب قبل أن يصبح حاكماً أم لا. وفي عهد سلطة أخيه، كان من المقربين إليه، إلا أن الأمير (مهد الدولة) قام بنفيه إلى قرية بعيدة وهي قرية (إسعد) ⁽⁶³⁾ وذلك لأن الأمير (نصر الدولة) كان قد رأى رؤيا في منامه بأن الشمس كانت تحت إبطه، وعندما قصّ هذه الرؤيا على أخيه، خاف الأخ على سلطته من أن تُسلب منه، ولذلك قام بنفيه إلى تلك القرية، وقال له: "إذا وقعت عيناك مرة أخرى سأقتلك". ولهذا السبب، لم يعد الأمير (نصر الدولة) إلى ميافارقين ولم يرَ أحدهما الآخر حتى وفاة الأمير (مهد الدولة) ⁽⁶⁴⁾.

كان لـ (نصر الدولة) أربع زوجات، كلّ واحدةٍ منهنّ كانت ابنة ملك؛ وذلك لأهداف سياسية، حيث كان الأمير نصر يرغب في تحسين وتوطيد علاقاته مع محيطه وجيرانه عن طريق المصاهرة السياسية ⁽⁶⁵⁾، زوجته الأولى كانت تُدعى (الفظلونية ابنة فظلون منوهر) حاكم (أران وأرمينيا)، وزوجته الثانية هي (السيدة) ابنة الأمير (شرف الدولة قرواش بن مقلد) الـ(عقيلي) أمير (الموصل)، والثالثة كانت ابنة (سنحاريب) ملك (سناسنه) ⁽⁶⁶⁾، أما زوجته الرابعة فكانت جارية تُدعى (الفرجية)، وكانت تعود لرجل مصري يُدعى (الفرج) وهو من علّمها الغناء ⁽⁶⁷⁾.

كان للأمير (نصر الدولة) من هؤلاء الزوجات العديد من الأبناء والبنات، وتذكر بعض المصادر أنه كان لديه أكثر من (٤٠ ابناً وابنة)، وكان قد جعل كل ابنٍ من أبنائه حاكماً على منطقة تحت إمرته في حين أن (الفارقي) لم يذكر سوى أسماء ثلاث من بناته فقط ⁽⁶⁸⁾.

فيما يتعلق بوفاته، اتفقت جميع المصادر على أنه انتقل إلى رحمة الله في ليلة (٢٩ شوال من سنة ٤٥٣ هـ الموافق ١٠٦١ م) في عاصمة إمارته بمدينة (ميافارقين)، وذلك بعد أن حكم الإمارة المروانية في الفترة ما بين (٤٠١-٤٥٣ هـ / ١٠١٠-١٠٦١ م)، أي لمدة (٥٢) عاماً ⁽⁶⁹⁾.

ثانياً: العدالة عند الأمير (نصر الدولة)

كان الأمير (نصر الدولة) أحد أولئك الأمراء الذين اتسموا بالعدل من نواحٍ عديدة، وقد طُبّق هذه العدالة مع المقربين منه وعائلته وأقربائه، وكذلك مع عامة شعب إمارته، حيث انعكست العدالة بشكل واضح وجليّ في سلوكه وتعامله

لقد كان الأمير يشرف بنفسه على كل صغيرة وكبيرة لحماية دولته، وأدى هذا الإشراف العام إلى عمل مستمر ودؤوب ليل نهار؛ ولهذا السبب، قام بتنظيم وقته وتوزيعه بدقة بين مختلف شؤون الإمارة، مخصصاً وقتاً قليلاً جداً للراحة. وهذا يدل على أنه صانَ مسؤولية تحقيق العدالة وحفظ حقوق الناس من خلال تواجده الدائم وإشرافه المستمر على سير الأعمال⁽⁷⁰⁾.

يُبين (الفارقي) أن الأمير (نصر الدولة) قد وضع تقسيماً عادلاً ومنظماً لمجالسه، لكي يُعطي كل ذي حقٍّ حقه؛ فقد كان هناك يومٌ يجلس فيه مع جنوده وجيشه، يأكل معهم ويقضي الوقت برفقتهم حتى الليل. وهذا يوضح حقيقة قرب الحاكم من القوة الحامية للبلاد. وكان يخصص يوماً آخر للجلوس مع بنو عمومته، وأولاده، وأقاربه وأرحامه المقربين (خاصته). أما اليوم الثالث، فكان يجلس فيه بمفرده على العرش دون وجود أي شخص آخر، وكان يقضي هذا اليوم مع زوجاته، بناته، وجواريه⁽⁷¹⁾.

وقد أثنى المؤرخون كثيراً على الأمير (نصر الدولة) في مجال العدالة وعزّفه كشخص عادل؛ حيث يقول (الذهبي): ((كان الأمير نصر الدولة عاقلاً حازماً عادلاً))⁽⁷²⁾، ويقول (ابن العديم): ((الأمير نصر الدولة عدل في الرعية، وتتعلم تتعماً لم يسبق إليه))⁽⁷³⁾.

كذلك كان للأمير (نصر الدولة) ألقاب كثيرة يعبر جميعها عن عدالته، مثل لقب (نصر الدولة وعمادها ذي الصرامتين)، وهذا اللقب منحه إياه الخليفة العباسي (القادر بالله)، كما منحه الخليفة الفاطمي (الحاكم بأمر الله) لقب (عز الدولة ومجدها ذي الصرامتين)⁽⁷⁴⁾، ويذكر المؤرخ الكردي (محمد أمين زكي) أن أحد ألقاب الأمير (نصر الدولة) كان (الملك العادل) أي الأمير العادل⁽⁷⁵⁾ ورغم أن هذا اللقب لم يذكر للأمير المذكور في المصادر الأصلية، إلا أن إطلاق هذا اللقب من قبل محمد أمين زكي ربما كان بسبب التزام الأمير نصر التام بمبادئ العدالة وتطبيقها في حياته.

في عهد إمارة (نصر الدولة)، بُذلت جهود حثيثة لترسيخ أسس الاستقرار والسلام والعدالة؛ فقد كان حاكماً حكيماً، فطيناً، وعادلاً، وبفضل هذه الصفات والمناقب حظي بشهرة واسعة وصيت حسن⁽⁷⁶⁾.

ولم تقتصر عدالة الأمير (نصر الدولة) على رعيته من البشر فحسب، بل امتدت لتشمل الحيوانات والطيور أيضاً. وفي هذا السياق، يذكر (ابن الجوزي) قائلاً: ((وبلغه أن الطيور في الشتاء

تخرج من الجبال إلى القرى فتصاد، فتقدم بفتح الالهراء وأن يطرح لها من الحب ما يشبعها، فكانت في ضيافته طول عمره⁽⁷⁷⁾.

في مجال القضاء على الظلم والاضطهاد، بذل الأمير جهوداً كبيرة جداً لضمان عدم تعرض أي شخص للظلم، وقد أدى ذلك إلى أن غالبية الناس أطاعوه ولم يخرجوا عن أمره. ومن الناحية الأمنية والاستقرار، اطمأن الناس على أموالهم وممتلكاتهم وأرواحهم، وفي ظل سلطته شهدت الأوضاع الاقتصادية نمواً ملحوظاً، وانخفضت الأسعار، وازداد الإعمار والازدهار⁽⁷⁸⁾.

فيما يتعلق بإدارة شؤون الإمارة، استطاع الأمير (نصر الدولة) تعيين الأشخاص الأكفاء في المناصب المناسبة لكي يقوموا بمساعدته في أعماله وخططه. وكان أحد مبادئ العدالة لديه هو السعي المستمر لحل المشاكل والأزمات، وكان الأمر الأكثر أهمية بالنسبة له هو توظيف الأشخاص المستحقين على أساس القوة والكفاءة في المؤسسات والدوائر الإدارية لإمارته⁽⁷⁹⁾، ومن بين أولئك الأشخاص الذين تم تعيينهم، الوزير (خواجه أبو القاسم الأصفهاني)⁸⁰، الذي كان وزيراً ناجحاً ومخلصاً حتى وفاته. وبعده، قام بتعيين الوزير (أبو القاسم الحسين بن علي) المعروف بـ (أبو القاسم المغربي)⁽⁸¹⁾ والذي كان يُعد أحد أكفأ الوزراء وأكثرهم علماً في التاريخ الإسلامي، حيث كان قبل ذلك وزيراً في الخلافة الفاطمية في مصر. كما أن الشاعر والكاتب (أبو نصر أحمد بن يوسف المنازي ت ٤٣٧هـ/١٠٤٥م) كان وزيراً وكاتباً للأمير (نصر الدولة) لعدة سنوات⁽⁸²⁾.

ففي عام (٤٣٠هـ / ١٠٣٨م) عين الأمير (نصر الدولة) وزيراً آخر باسم (فخر الدولة بن جهير)⁽⁸³⁾، وكان المذكور وزيراً كفوءاً أدار شؤون الوزارة بنجاح لعقود من الزمن، يقول (ابن خلكان): ((ومن جملة سعادة الأمير (نصر الدولة) أنه وَزَرَ له وزيران كانا وزيري خليفتين: أحدهما أبو القاسم الحسين بن علي المعروف بابن المغربي صاحب الديوان الشعر والرسائل والتصانيف المشهورة، وكان وزير خليفة مصر وانفصل عنه، والآخر فخر الدولة أبو نصر بن جهير، كان وزيره ثم انتقل إلى وزارة بغداد))⁽⁸⁴⁾.

من العلامات الأخرى التي تُظهر عدالة الأمير (نصر الدولة)، هي تعامله العادل مع عائلته وأقاربه؛ فخلال (٥٢) عاماً من حكمه، لا توجد أي إشارات في المصادر التاريخية تدل على أن أحداً من عائلته قد خانته أو قام به مؤامرة ضده. فقد كان يخصص جزءاً من وقته للجلوس والتشاور معهم، بالإضافة إلى رحلاته الربيعية، حيث كان يصطحب معه دائماً زوجاته، وأطفاله، وأبناء عمومته⁽⁸⁵⁾.

حتى لو أصاب المرض أحداً من أفراد عائلته كان يحزن لأجله، وعندما مرضت إحدى بناته، حزن عليها كثيراً ونذر إن شُفيت ابتُئته ونهضت من مرضها، أن يتصدق بوزنها نقوداً على الفقراء. وبعد تحسّن حالتها الصحية، قام ببناء مستشفى كبير (بیمارستان) في "ميفارقين" بناءً على مقترح من

(زاهد العلماء)، الذي قال للأمير (نصر الدولة): "ابن بيمارستاناً بدلاً من تلك الأموال، ليستفيد منها جميع الناس، ولا سيما الفقراء" (86).

لم يقتصر الأمير (نصر الدولة) في عدله على نفسه وعائلته وأقاربه والمحيطين به فحسب، بل إنه عدل مع عامة شعبه أيضاً، سواء كان هؤلاء الناس على دين الإسلام كمسلمين أو على أديان أخرى. حيث قام الأمير بتخفيف الضرائب عن كاهل الشعب، وخاصة الضرائب الثقيلة منها، ويقول (ابن الأثير) في هذا الصدد: ((ورُخِصت الأسعار في أيامه، وتظاهر الناس بالأموال، وتتعلم تنعماً لم يُسمع بمثله عن أحد من أهل زمانه)) (87).

ثالثاً: مظاهر عدالة في عهد الأمير (نصر الدولة)

كان الأمير (نصر الدولة) يُوصف بصفتين يجب أن تتوفر لدى كل حاكم لضمان استمرار حكمه، وهما العدل والحزم. وقد أجمع المؤرخون كافة على عدالته وحسمه في اتخاذ القرارات، حتى أصبحت بلاده من أكثر البلاد أماناً، ورخاءً، وعدلاً، ولم يكن يرضى بالظلم أبداً إذا وقع على أحد من رعيته. (88) كان يجلس لعدة أيام للنظر في شكاوى ومصالح عامة الناس، ويقضي أياماً أخرى مع عائلته وأقاربه (89).

يقول (الفارقي): "في أحد الأيام، كان (أبو الحكيم الحديثي)، وكان يتولى منصب (عارض الجيش)، جالساً يلعب الشطرنج مع بعض الغلمان (أو الخدم)، فحدث بينهم خلاف ومشاجرة، فضرب (أبو الحكيم) رأس أحد الغلمان وشجّه (أي كسر رأسه)، توجه الغلام إلى الأمير والدماء تسيل على وجهه، وقال: أنا عبدك ومملوكك ويحدث لي هذا؟! فقال الأمير: من فعل هذا بك؟ قال: (أبو الحكيم). فأمر الأمير بإحضاره، لكنه هرب ولجأ إلى الأمير (مرزبان بن بلاشو بن كك)، وهو ابن عم الأمير نصر الدولة وزوج ابنة عمه (هند بنت علي بن منصور بن لكك)، عندما علم الأمير (نصر الدولة) بذلك، استشاط غضباً، وحمل سلاحه وخرج من باب السلام. ويُقال إن الأمير، منذ أن بنى القصر، لم ينزل من تلك السلام قط، ولكنه من شدة غضبه في ذلك اليوم، نهض من ديوانه ونزل منها، وتوجه نحو دار ابن عمه (مرزبان). فلما وصل، استقبله ابن عمه وابنة عمه، فاستحيا من ابنة عمه وتراجع عن معاقبته، وبعد فترة من الزمن عفا عن أبي الحكيم" (90).

ولم يتعرض أحد من شعبه للظلم طوال فترة حكم الأمير (نصر الدولة)، ولم يتم الاستيلاء على أموال أي شخص باستثناء أموال (الشيخ أبو بكر بن الجري). وكان السبب في مصادرة أمواله أنه كان صديقاً لصاحب (السناسنة)، فذهب بعض أعدائه إلى الأمير وقالوا: ((هذا يتحالف مع صاحب السناسنة وقد يسلم البلاد إليه))، فاقترحوا منزله وعثروا فيه على كميات كبيرة من الأسلحة، وبناءً على ذلك تم

اتهامه ومصادرة أمواله، وبلغت الأموال المصادرة أربعمئة ألف دينار، ثم تركوا بعد ذلك ثمانين ألف دينار لورثته. وباستثناء هذه الحادثة، لم يعلم أحد أن الأمير (نصر الدولة) قد أخذ درهماً واحداً من أي فرد (91).

أصبحت الإمارة المروانية في عهد الأمير (نصر الدولة) ملاذاً لأولئك الذين يفرون من الظلم، ولم يكن يُسلم أي شخص يلجأ إليه أبداً، حتى وإن تعرض لضغوطات شديدة. وكان الناس يقصدونه من كل حذب وصوب، حيث غدا كالمغارة (الملجأ) لكل من يستجير به (92) إذ قصده كل من الوزير (ابن المغربي) و(سليمان بن فهد) عندما فرّا من الموصل. وقد أرسل (شرف الدولة قرواش) (حاكم الموصل 391-444 هـ / 1001-1052 م) في طلبهما، طالباً من الأمير أن يعيدهما، لكن الأمير نصراً لم يُسلمهما، وجرّت بينهما مراسلات ومحادثات، فقال (نصر الدولة) حينها: "لن أسلمهما أبداً، لأنهما قد لجأا إليّ" (93).

في سنة (450 هـ / 1058 م)، توجّهت "السيدة" -والدة الخليفة العباسي (أبو العباس محمد بن القائم بأمر الله) (94) المعروفة بـ (الذخيرة الصغيرة)، قاصدةً ميفارقين. وقد خرج الأمير (نصر الدولة) لاستقبالها، فاستضافها لديه، وأكرم وفادتها، ثم سيّرها إلى آمد، حيث أسكنها في القصر ووفر لها كل ما تحتاجه من متطلبات (95) وكان سبب خروج (السيدة) هو عصيان (البساسيري) (96) ضد الخليفة (القائم بأمر الله)، واستيلائه على بغداد، وخطبته باسم الخليفة الفاطمي (المستنصر العبيدي 427-487 هـ / 1036-1094 م) صاحب مصر (97).

وعندما روى (سبط ابن الجوزي) هذه الحادثة، قال: ((طالعُ تاريخ ميفارقين، ووجدتُ فيه أن أبا نصر بن مروان الكردي، صاحب ديار بكر، قد أسكنهم في دارٍ بآمد، وأجرى عليهم الإقامة والجرايات))، ((الرواتب والمخصصات المالية)) (98).

في عام (٤٢٧ هـ - ١٠٣٥ م)، غدر السناسنة وخانوا حجاج بيت الله الحرام القادمين من أذربيجان وخراسان وطبرستان؛ حيث قطعوا الطريق عليهم، واحتجزوهم (أسروهم)، وقتلوا الكثير منهم. كما أسروا آخرين، وسبوا النساء والفتيات (جعلوهن جواري)، ونهبوا أموالهم وممتلكاتهم. عندما وصلت هذه الأنباء إلى الأمير نصر، حشد جيشه وقرر شن هجوم عليهم. ولما علم السناسنة بذلك ورأوا جدية الأمير وإصراره على هذا القرار، اتصل ملك السناسنة بالأمير وأرسل إليه رسالة يبيد فيها استعداداه لإعادة جميع الممتلكات التي نهبها جنوده، وإطلاق سراح الأسرى والنساء والفتيات المحتجزات؛ وكان ذلك سبباً في تحقيق الصلح والاتفاق بين الطرفين (99).

في إحدى المرات، طلب الأمير من الوزير أن يُجهّز مئة ألف دينار لأمرٍ يتعلق بالدفاع، فقام الوزير بإعداد قائمة توزيع (للضرائب) لفرضها على أصحاب البيوت والأغنياء. لكن الأمير قال له: ((لو

كنتُ أريد أموال الناس لاستندتُ إلى الشرطة، بل أنا أريد هذا المال من أموال التجارة)). ثم جاء أحد التجار إلى الأمير وأحضر معه ألف دينار، وقال له: "أرجو منك يا أميري أن تقبل مني هذا المال، لأنني أربح مثل هذا المبلغ في بعض الأيام". فقال له الأمير: "خذه، فليس لي حاجة به"، وأمر بأن تُصرف الألف دينار كصدقة (خير) شكراً لله عز وجل على إعمار بلاده وسعة رزقها (100).

تُشير المصادر إلى أن الأمير (نصر الدولة) كان قد تعهد بأن يتصدق بجريب (101) واحدٍ من القمح في المسجد في أول يومٍ من استلامه للحكم، واستمر في الوفاء بنذره هذا حتى عام (٤٠٨هـ). بعد ذلك، شعر بالتململ والتعب يوماً ما من استمرار مراقبة هذا الأمر ومتابعته، وقال: قد أنشغل في بعض الأيام ولا أتمكن من الوفاء بنذري. لذلك، توجه إلى (الشيخ أبو محمد الحسن بن محمد بن المحور) الذي كانت الأوقاف تحت يده، وأمره بأن يجلس غداً في الديوان عند الخواجة (أبو القاسم) لتحديد أرض زراعية (مزرعة) تبلغ مساحتها (ثلاثمائة وستين جريباً) من أجل وقفها للفقراء والمساكين، على أن يُوزع حاصلها وعائداتها كصدقة في المسجد لكي يفي بنذره تماماً. وفي اليوم التالي، جلس الشيخ (أبو محمد) في الديوان عند الخواجة (أبو القاسم)، واستقر رأيهما على القرية المعروفة بـ (العطشى) والتي تقع في الجانب الغربي من ميفارقين. تم إعلام الأمير بذلك، فقام بدوره بوقف تلك القرية للفقراء والمساكين، حيث كانت عائداتها تُجلب سنوياً وتُوزع كصدقات عليهم في المسجد (102).

المحور الثالث: تأثير العدالة على الأوضاع العامة في عهد الأمير (نصر الدولة)

أولاً: تأثير العدالة على المجالات السياسية والعسكرية والأمنية:

يُعتبر الأمير (نصر الدولة) من أعظم الشخصيات السياسية الكردية في بلاد الكرد طوال العصور الوسطى، حيث تجاوزت شهرته حدود امارته وأصبح معروفاً على مستوى العالم الإسلامي أيضاً. حكم لأكثر من نصف قرن في الأجزاء الكردية من إقليمي (الجزيرة وأرمينيا)، والتي كانت تتألف من عشرات المدن والبلدات الصغيرة والقلاع وآلاف القرى، مثل (ميفارقين، حصن كيفا، أرزن، سيعرت، بدليس، جزيرة بوطان، تنزة، معدن، حاني، خلاط... إلخ) (103).

مع بداية تولي الأمير (نصر الدولة) مقاليد الحكم كحاكم للإمارة المروانية، نظرت الدول الإسلامية باهتمام بالغ إلى هذا الكيان. لذلك، سارعت منذ البداية بمحاولة كسب الأمير إلى جانبها. وفي عام (٤٠٣هـ / ١٠١٢م)، وضمن مراسيم خاصة بتتصيبه أميراً للإمارة، وصل ممثلو الخليفة العباسي (القادر بالله) ومبعوثو السلطان في الدولة البويهية إلى حضرة الأمير نصر حاملين معهم مجموعة من الهدايا، حيث اعترفوا بسلطته، وأبلغوه بموافقة الخليفة عليه كحاكم لإقليم ديار بكر، ومنحوه لقب (نصر الدولة وعمادها ذي الصرامتين) (104).

في نفس الوقت، سعت الخلافة الفاطمية في مصر أيضاً إلى تحسين علاقاتها مع الأمير (نصر الدولة). وبناءً على ذلك، أرسل الخليفة (الحاكم بأمر الله) وفداً محملاً بالهدايا إلى الأمير، ومنحه لقب (عز الدولة ومجدها ذي الصرامتين). كما وصل وفد الإمبراطورية البيزنطية إلى الأمير مصطحباً معه الخيول والهدايا الثمينة، وبحضورهم تم الاعتراف بالأمير نصر رسمياً كأمر شرعي⁽¹⁰⁵⁾.

هذا الأمر أدى إلى استقرار الأمن على الحدود وعدم حدوث أي مشاكل أو عوائق معقدة، مما جعل الأمير نصر يتفرغ لتنظيم الشؤون الداخلية، وتطوير البلاد، وترسيخ العدالة، ودعم الاقتصاد والزراعة والإعمار، وتنشيط الحركة التجارية، والقضاء على الظلم⁽¹⁰⁶⁾.

سياسة الأمير (نصر الدولة) كانت تتجه دائماً نحو اختيار طريق السلام والمفاوضات لحل جميع المشاكل والخلافات مع القوى المحيطة به، وإزالة كل التهديدات الخارجية. ويُروى أنه كلما أرادت قوة خارجية، وخاصة القوات السلجوقية، شن هجوماً على إمارته، كان الأمير نصر يستفسر عن التكلفة المالية المطلوبة لمنع هذا الهجوم. ومهما كانت المبالغ والأموال المطلوبة، كان الأمير نصر يرسلها دون أي تردد، وبهذه الطريقة كان يبعد خطرهم عنه. حدث هذا في وقت تعرضت فيه جميع الكيانات السياسية في المنطقة لهجمات السلاجقة وتم تدميرها، لكن الأمير نصر تمكن من الحفاظ على سيادة إمارته من خلال دفع الأموال⁽¹⁰⁷⁾.

في المجال العسكري، عمل الأمير (نصر الدولة) على تحصين النقاط الحدودية وملء خنادق الدفاع بالأسلحة، وتثبيت الفدائيين والمتطوعين على الحدود، حيث كان هناك في (آمد) وحدها أربعة عشر مقلماً لتدريب وإعداد المتطوعين وعشرات الآلاف من المقاتلين، وباستثناء بعض الأحداث الجانبية، ساد الأمن والاستقرار على الحدود في عهده⁽¹⁰⁸⁾.

كان تعامل الأمير (نصر الدولة) مع الجيش في أوقات الحروب والانتصارات، جانباً آخر مهماً يبرز كرمه وعدالته، ويظهر حكمة قيادته؛ فلم يكن الأمير (نصر الدولة) يوماً بخيلاً مع أولئك الجنود الذين شاركوا معه في الحروب. ففي أول مواجهة عسكرية للأمير نصر مع (شروه)، حقق الأمير انتصاراً كبيراً، وبسبب ذلك وقعت غنائم ومكاسب عظيمة في يده، فقام بتوزيع تلك الغنائم كلها على الناس والجنود، ولم يأخذ أو يترك لنفسه أي نصيب منها. وعلاوة على ذلك، أمر بفتح مخازن ومستودعات الحبوب والغلال لخدمة الأهالي. ومن خلال هذه السياسة، نال الأمير نصر الاهتمام والولاء التام من جنوده، وكان ذلك سبباً في زيادة قوة وعدد جنوده وجيشه يوماً بعد يوم⁽¹⁰⁹⁾، ومن هذا المنطلق، ولأجل الأهمية التي أولاها الأمير (نصر الدولة) لتحقيق السلام مع القوى المحيطة بالإمارة، وفي الوقت نفسه تركيزه الكبير على تعزيز جيش إمارته حتى لا تطمع أي قوة في بلاده ولا تستغل الضعف العسكري للإمارة كفرصة، ولتجنب حساباً لقوته؛ كل ذلك من أجل استتباب السلام الداخلي والخارجي بشكل أكبر،

وليعيش شعب الإمارة في أمان ورفاهية أكثر. ولا شك أن هذه السياسة تتدرج كلها تحت مظلة العدالة السياسية والعسكرية والأمنية التي يجب على كل حاكم أن يوفرها لشعبه ولوطنه.

ثانياً: تأثير العدالة على الأوضاع الاجتماعية والثقافية والعلمية

أ/ التأثيرات الاجتماعية والتسامح الديني

لقد كانت منطقة ديار بكر منذ القدم مكاناً للتعايش بين مختلف القوميات والأديان، ولا سيما في عهد الأمير (نصر الدولة)؛ حيث إن السياسة والتعامل السليم اللذين انتهجهما مع مكونات إمارته، والعدالة التي طبقها في إدارة سلطته، كانا سبباً في جعل هذا التعايش أكثر بروزاً ووضوحاً فقد كانت كل عرق ودين يحيون مناسباتهم وطقوسهم بحرية تامة، ولا توجد أي إشارات تدل على تعرض أي شخص للظلم في عهده بسبب عرقه أو دينه (110).

كان الكرد عنصراً أساسياً في إقليم ديار بكر في عهد الأمير (نصر الدولة)، ولكن مع ذلك كانت هناك قوميات أخرى تعيش معهم في أجواء من الأخوة والسلام (111)، فإلى جانب الكرد، كان هناك السريان والأرمن في المنطقة، ويعود وجودهم إلى العصور القديمة، وخاصة في الحقبة التي نتحدث عنها، حيث كانت تعيش نسبة لا بأس بها من الأرمن في بعض مدن الإمارة المروانية، لا سيما في مدن (أرديش، خلاط، بدليس، وملاندكرد). وكما يذكر الرحالة الشهير (ناصر خسرو) عند مروره بالإمارة المروانية قائلاً: ((ويتحدث الناس في مدينة (اخلاط) بثلاثة السن هي الفارسية والعربية والارمنية، وأظن أن هذا هو سبب تسميتها بالأخلاط)) (112).

فضلاً عن ذلك، ليس بعيداً أن يكون عدد الأرمن في تلك المناطق التي أشرنا إليها مساوياً لعدد الأكراد أو أكثر، وجدير بالذكر أن الجغرافيين والمؤرخين في العصور الوسطى قد عدّوا تلك المناطق من بلاد الأرمن، بل إن بعضهم قد بالغ حينما قال إن حدودهم تمتد حتى نهر دجلة، حيث عاش الأرمن والأكراد معاً في العديد من المناطق الكردية والأرمنية (113).

بالإضافة إلى الأكراد والأرمن، كان العرب متواجدين أيضاً في هذه الإقليم، ويعود تاريخهم إلى ما قبل الدولة الدوستكية؛ فمع الفتوحات الإسلامية، جاء الكثير من القبائل والعائلات العربية إلى إقليم ديار بكر واستقروا فيه. وفي عهد الإمارة الدوستكية المروانية، كان العرب متواجدين في منطقتي (سيرت وخلاط)، وكانت اللغة العربية منتشرة في تلك الأنحاء ويتحدث بها الناس، حيث عاشوا جنباً إلى جنب مع الأكراد والأرمن (114).

علاوة على ذلك، كان هناك يهود أيضاً في مدينة (ميفارقين) وكان لهم حاراتهم وكنائسهم الخاصة، مثل حارة (زقاق اليهود) وسوق (القبة) وكنيسة اليهود التي كانت تقع في الجانب الغربي من المدينة (115).

وعلى الرغم من أن الغالبية العظمى من سكان الإمارة المروانية كانوا من المسلمين، إلا أنه كانت هناك أديان أخرى إلى جانبهم مثل اليهودية، المسيحية، والزرادشتية، وقد تعايشوا معاً مع المسلمين، ولا سيما في عهد الأمير (نصر الدولة)، حتى إن المسلمين شاركوا في طقوسهم ومناسباتهم مثل عيد (دير مرموقا) الذي يقع بالقرب من (ميفارقين)؛ حيث كان هذا العيد مرتبطاً بالديانة المسيحية، إلا أن المسلمين شاركوا أيضاً في هذه المراسم والطقوس (116).

كانت العدالة والتسامح الديني متوفرين لدى الأمير (نصر الدولة) تجاه السكان غير المسلمين الذين يعيشون في بلاده مثل (المسيحيين). ففي عهد الأمير نصر، تمتع هؤلاء بحرية تامة وكانوا يحيون طقوسهم الدينية بحرية كما كان الأمير يسند المناصب الحساسة إلى الأشخاص ذوي الكفاءة من المكونات الأخرى؛ على سبيل المثال، كان المشرف على أوقاف المسيحيين شخصاً يُدعى (ابن شليطاً). هذا الأسلوب من التسامح الديني أصبح سبباً في رغبة الدولة البيزنطية المجاورة في التفاوض وإقامة علاقات جيدة معه، مما حمى شعبه من الحروب المدمرة (117).

وهكذا يتضح أنه على الرغم من وجود الفروق العرقية والدينية داخل مجتمع الإمارة المروانية، لاسيما في عهد الأمير (نصر الدولة) المرواني، فإن هذه المكونات والجماعات الدينية المختلفة عاشت معاً كجيران لفترة طويلة في البلاد المروانية. ولم تتبع الإمارة قط سياسة الإدماج القسري أو استباحة القوميات والأديان، ولم يُرتكب تحت ظلال حكمهم أي عمل سيء مثل التطهير العرقي ضد المكونات وبفضل هذه السياسة المرنة والعدالة التي انتهجتها الإمارة المروانية في عهد الأمير (نصر الدولة) -ورغم وجود ذلك التباين- لم تظهر أي احتجاجات أو معارضة وصراعات حادة بين المكونات الاجتماعية وكان أحد النقاط الرئيسية لاستمرار هذا التعايش هو وجود توازن وميزان حكيم بين السلطة وجميع تلك المكونات والأعراق الاجتماعية المختلفة، وذلك نتيجة للسياسة العادلة للأمير (نصر الدولة) مع المكونات الدينية والعرقية في إمارته (118).

ب- التأثيرات الثقافية والعلمية

شهدت الحياة الثقافية والعلمية في عهد الدولة الدوستكية (المروانية)، لا سيما في عهد الأمير نصر الدولة، ازدهاراً وتطوراً منقطع النظير. وجاء هذا التقدم نتيجة للاهتمام والدعم المباشرين من الدولة للعلم والعلماء، حيث أولت الدولة أهمية كبرى لنشر العلم ورعاية علماء الدين (الفقهاء)، الأدباء،

الشعراء، والأطباء. كما أن الاستقرار، الهدوء، الرفاهية، التقدم الاقتصادي، والإعمار الذي شهدته البلاد، كانت كلها دوافع قوية للنهوض بالواقع الثقافي (119).

يُعتبر الأمير (نصر الدولة) من أبرز أمراء العصور الوسطى الذين اهتموا بالمجال العلمي والثقافي، إذ كان بلاطه مقصداً دائماً للعلماء والمتقنين، وكان يحظى فيه باحترام وتقدير خاصين. هذا بالإضافة إلى اهتمامه بإنشاء المؤسسات الخيرية والتعليمية، مما شكّل حافزاً ليتوافد المزيد من العلماء نحو إمارته. وقد بلغ تقديره لهم حداً جعله يقلدهم مناصب رفيعة، لكي تستفيد إمارته من قدراتهم وكفاءاتهم (120).

أصبحت مدن الإمارة المروانية في عهد الأمير (نصر الدولة) مراكز وحواضر للعلم والمعرفة، ولا سيما ديار بكر وعاصمة الإمارة ميفارقين، إلى جانب مدن أخرى مثل الجزيرة، تنزة، شاتان، أرزن، وبندليس؛ حيث غصت هذه المدن بطلبة العلم والعلماء والمدرسين. وقد تخرج في هذه المراكز العلمية العديد من فطاحل العلماء والأدباء البارزين (121).

وعندما شاعت عدالة الأمير (نصر الدولة) وسخاؤه وصلاحه، أمّ العلماء والشعراء بلاده من كل حذب وصوب. وقد أجمع المؤرخون على أن إمارة هذا الأمير كانت مقصداً للعلماء والزهاد، حيث وجدوا عنده المكانة والتقدير اللائقين بهم. كما كانت مقصداً للشعراء الذين غمرهم بكرمه وجوده، ففاضت قريحتهم بمدحه وتخليد مآثره في دواوينهم (122).

ويشير (ابن الأثير) إلى أن بلاط الأمير (نصر الدولة) قد غدا "مقصداً وقبلة لعلماء العالم". وكان من بين أولئك العلماء الأجلاء الذين وفدوا إليه (أبو عبد الله الكازروني) (123) والذي انتشر المذهب الشافعي على يديه في منطقة ديار بكر. كما قصده الشعراء ومدحوه، فكان الأمير يجزل لهم الجوائز والعطايا الثمينة (124).

يقول (ابن الجوزي): ((ووفد إليه الشعراء، وسكن عنده العلماء والزهاد)) (125)، ويؤكد (ابن خلدون) أن العلماء كانوا يقصدون الأمير (نصر الدولة) حيث يقول: ((وقصده العلماء فحمدوا عنده مقامهم)) (126)، كما يؤكد كل من (ابن خلكان) (127) و (أبو الفداء الأيوبي) على هذه الحركة الثقافية والعلمية في عهد الأمير المذكور (128).

لقد أصبحت مدن الإمارة المروانية وبلاط الأمير (نصر الدولة) مركزاً لتجمع الشعراء والأدباء الذين كانوا يأتون إليه من شتى بقاع العالم الإسلامي؛ فالشاعر (صريع الدلاء) (129) الذي قصده بمجموعات شعرية عديدة، كما مدحه الشعراء من جميع البلدان، وقصده الشاعر (التهامي) (130) فمدحه ومدح وزيره المغربي أيضاً. ومن بين الشعراء الذين كانوا في خدمته: القائد (أبو الرضا بن الطريق)، (ابن

(السوداوي)، و(ابن الخضير) ⁽¹³¹⁾، وبهذا يتضح أنه نظراً لشهرة الأمير (نصر الدولة) بالعدل، واحترامه للعلماء وطلبة العلم، ودعمه للحركة العلمية والثقافية، فقد بلغت الإمارة المروانية في عهده ذروة انتعاش حركتها العلمية والثقافية.

ثالثاً: أثر العدالة على الأوضاع الاقتصادية والعمرانية:

أ- الآثار الاقتصادية

كان لأثر العدالة وسلطة الأمير (نصر الدولة) على الجانب الاقتصادي تغييراً إيجابياً كبيراً وغير مسبوق على الإمارة الدوستكية المروانية، الأمر الذي أدى ببلاده إلى الدخول في مرحلة ذهبية في عهده. وفي هذا العهد، تحقق الثراء والغنى العام لعامة الناس، حيث يقول (الفارقي): ((واستغنى الناس في أيامه))، أي أن في عهد الأمير (نصر الدولة) استغنى الناس تماماً من الناحية المادية، وكانت أيامه أفضل الأيام ودولته من أحسن الدول ⁽¹³²⁾.

وكذلك كان الناس يعيشون في رخاء وثراء ظاهر، ويشير الكثير من المؤرخين إلى ذلك بقولهم: ((وتظاهر الناس بالأموال ورخصت الأسعار)). ⁽¹³³⁾.

هذا الازدهار الاقتصادي في ذلك العصر كان سبباً في توافد العديد من التجار وعامة الناس نحو المدن الخاضعة لسلطة الأمير (نصر الدولة)، ولا سيما عاصمة دولته (ميفارقين)، سواء كان ذلك بغرض الاستقرار والسكن أو لأجل التجارة، ومما أدى بدوره إلى زيادة سكانها وإعمارها ⁽¹³⁴⁾.

كذلك كان يمنع مسؤوليه وحكامه من ظلم الناس ويأمرهم بإعطائهم حقوقهم، يقول (ابن كثير): ((كانت البلاد في ظل حكم الأمير نصر في استقرار تام، وقد أدى ذلك إلى أن تصبح مدنه مراكز تجارية يقصدها التجار من كل حذب وصوب، ومما تسبب في رخص السلع والبضائع)) ⁽¹³⁵⁾.

وفي المجال الزراعي أيضاً، شهدت الإمارة المروانية في هذا العهد تقدماً ملحوظاً، على سبيل المثال عندما بنى الأمير (نصر الدولة) مدينة (النصيرية)، أنشأ فيها بساتين وحقول الكروم والفاكهة، كما حُفرت الآبار بداخلها، وجُلِبَت المياه إليها ⁽¹³⁶⁾.

وكانت مدينة (آمد) في عهد الأمير (نصر الدولة) مشهورة بالزراعة بسبب وفرة المصادر المائية مثل (نهر دجلة) ووجود العديد من الينابيع الأخرى، ولذلك أمر الأمير باستصلاح أراضيها مع أراضي القرى التابعة لتلك المدينة، كما خصص مبلغاً مالياً كبيراً لغرض تحسين وإعادة إحياء تلك القطع الأرضية الزراعية في القرى والتي كانت تتجه نحو الخراب ⁽¹³⁷⁾.

بشكل عام شهد قطاع الزراعة وأوضاع الفلاحين في عهد الأمير (نصر الدولة) تطوراً كبيراً جداً، حيث ازدهرت في هذا العهد زراعة أنواع متعددة من الغلال والحبوب والفواكه والخضروات بشكل ملحوظ. ومن هذه الحبوب (القمح والشعير والعدس والحمص)، كما كانت أشجار الفواكه والخضروات واسعة الانتشار.

ويعود هذا الازدهار إلى توفر الاستقرار السياسي والأمان على الصعيدين الداخلي والخارجي، فضلاً عن اتباع سياسة حكيمة وناجحة، واستخدام سياسة مرنة مع الفلاحين وتخفيف عبء الضرائب عن كاهلهم⁽¹³⁸⁾.

وكانت إحدى أهم نقاط العدالة الاقتصادية في هذا العهد هي التغيير الذي طرأ على نظام جباية الضرائب والخراج؛ إذ تميزت سياسة الدولة تجاه الفلاحين بالمرونة والتفاهم الجيد المتبادل، حيث رفعت الدولة عن كاهل الفلاحين عبء ضريبة الأرض الثقيلة التي كانت مفروضة عليهم في العهود والعصور السابقة. ورغم عدم وصول نصوص تاريخية واضحة تحدد النسبة الدقيقة للضريبة أو خراج الأرض، إلا أن تحسن أوضاع الفلاحين ومعيشتهم -والذي أشار إليه (الفارقي) في كتابه في مواضع عدة، لا سيما في عهد الأمير (نصر الدولة) الذي حكم لمدة (52) عاماً وكما ذكرنا سابقاً بأنه لم يظلم أحداً ولم يستول على أموال وممتلكات أي شخص - يعد أفضل دليل على تطور الجانب الزراعي وحياة الفلاحين⁽¹³⁹⁾.

لقد شهد الجانب الصناعي أيضاً في عهد الأمير (نصر الدولة) تقدماً ملحوظاً، ويعود ذلك إلى توفر المواد الخام والأولية في هذا المجال. ومن تلك الصناعات، اشتهرت مدينتا (آمد وأرزن) بالغزل والنسيج، بينما تميزت مدينة (ميفارقين) بصناعة النواير (النواير المائية) وإنشاء نظم الري، حيث كان الناس في ذلك العهد يمتلكون خبرة واسعة في صنع نواير المياه الضخمة وشبكات الري. وكما يذكر (الفارقي): ((في بستان رئيس علي بن منصور، أنشأ الأمير نصر معملاً أو نظام ري ضخماً بهدف توفير المياه النظيفة لمدينة ميفارقين))⁽¹⁴⁰⁾.

ومن الصناعات الأخرى التي شهدت تطوراً في هذا العهد، صناعة الأبواب الحديدية، مثل صنع باب قصر الأمير (نصر الدولة) في مدينة (نصيرية) والذي شُيّد بطريقة فنية وهندسية جميلة. بالإضافة إلى ذلك، برزت صناعة مطاحن الدقيق (المطاحن المائية) التي كانت تُعد من الاحتياجات الاقتصادية الأساسية التي ترتبط بها حياة الناس، وقد اكتسب أهالي مدن (آمد، ميفارقين، ورأس العين - سهري كانيي) خبرة كبيرة في هذا المجال⁽¹⁴¹⁾.

بسبب تلك السياسة العادلة والأمن والاستقرار الذي ساد البلاد في عهد الأمير (نصر الدولة)، شهد الجانب التجاري أيضاً تطوراً ملحوظاً، حيث أصبحت طرق تنقل التجار مستقرة ومحمية من الخارجين عن القانون أو قطاع الطرق، ونتيجة لذلك لم تعد هناك أي خطورة على قوافل التجار أثناء تنقلها، وكما ذكرنا سابقاً فإن المؤرخين يقولون إن بلاد الأمير (نصر الدولة) كانت من أكثر البلاد استقراراً وأماناً، مما شكّل فرصة ممتازة لمجيء التجار إليها وممارسة تجارتهم⁽¹⁴²⁾.

كذلك فإن اهتمام الدولة ببناء علاقات صداقة مع الدول والإمارات المجاورة والابتعاد عن الحروب والنزاعات، شكّل دعماً كبيراً للتجارة، وسمحت هذه العلاقات الطيبة للتجار الأجانب بدخول الدولة المروانية دون أي عوائق من جانب الإمارة، ودون الخوف من تعرض أموالهم وبضائعهم للسرقة أو النهب (143).

لتأكيد هذا الأمر ومدى اهتمام الأمير (نصر الدولة) بحماية الطرق التجارية من اللصوص وقطاع الطرق والمفسدين، يُروى أنه في أحد الأيام كان الأمير (نصر الدولة) جالساً مع عدد من القادة ووجهاء الكرد حول مائدة طعام. وعندما جُلب الحجلان المشويان إلى مائدة طعامهم، نظر أحد أولئك القادة الكرد إلى الحجلين وضحك. فسأله الأمير: "لماذا تضحك؟" قصّ ذلك القائد قصة أيام شبابه على الأمير وقال: "في سن الشباب كنت قاطع طريق، وفي أحد الأيام مرّ تاجر في طريقي، فأمسكت به وأردت قتله. ورجاني كثيراً ألا أقتله لكنني لم أوافق. وعندما علم التاجر أنني سأقتله لا محالة، نظر حوله فلم يرَ أي إنسان، فوقعت عينه على حجلين، فنظر إليهما وقال: اشهدا أن هذا الرجل قتلني ظلماً. ثم قتلتها. واليوم عندما وقعت عيني على هذين الحجلين، تذكرت غباء وجبن ذلك التاجر كيف جعل من الحجلين شهوداً". وعندما سمع الأمير (نصر الدولة) هذا الاعتراف بأمر عينه من فم القاتل، قال له: ((والله إن هذين الحجلين قد شهدا على جريمتك عند ذلك الإله الذي أوصلك إلى هذا المستوى)). وعلى الفور أصدر الأمير أمراً بإعدامه وقُطع رأسه (144)، وتُظهر لنا هذه الحادثة مدى التزام وعدالة الأمير، وكيف كان حريصاً على سيادة القانون وإعادة الحق للمظلومين. ورغم أن ذلك الشخص كان من القادة وكبار الكرد وجالساً على مائدة طعام الأمير، إلا أن عدالة الأمير لم تسمح بالتغاضي عن دم تاجر بريء، وفرض عقوبة الإعدام على القاتل.

يتبيّن لنا مما سبق مدى حرص الأمير (نصر الدولة) وسعيه الحثيث لتوفير مقومات النمو الاقتصادي لإمارته من جميع النواحي، وتهيئة بيئة آمنة، سليمة، وملائمة لإنعاش كافة القطاعات الاقتصادية، الأمر الذي يمثل صورة من صور العدالة التي يمارسها الحكام مع شعوبهم.

ب/ الآثار العمرانية:

شهدت حركة الإعمار والبناء في عهد الأمير (نصر الدولة) ازدهاراً غير مسبوق. فقد جعلت سياسة حكمه وعدالته من توفير الخدمات للناس هدفاً أساسياً، وتتجلى آثار ذلك على الجانب العمراني في النقاط التالية:

لم يدخر الأمير (نصر الدولة) جهداً في توفير الخدمات والبناء، حيث بادر بإطلاق حملة كبرى للإعمار والتشييد. فأنشأ العديد من القصور، والحمامات، والجسور، والخانات. وتحت إشرافه وأمره، بُنيت مستشفى وحمامان في مدينة ميافارقين. وفي سنة (414 هـ / 1023 م)، أمر الأمير ببناء الجامع

الكبير للمدينة مع مئذنة جامع (الربض) الشهيرة في ميفارقين، كما شُيّد المسجد المحدث⁽¹⁴⁵⁾ في نفس المدينة بين عامي (423 - 424 هـ / 1032 - 1033 م). كما وضع الأمير ساعة (البنكام)⁽¹⁴⁶⁾ في جامع ميفارقين وعدة أماكن أخرى لتحديد أوقات الصلوات والمعاملات. ومن أجل خدمة المواطنين، أصدر الأمير (نصر الدولة) أمراً بمد ثلاثة قنوات مائية كبرى إلى داخل أسوار مدينة ميفارقين لضمان وصول المياه النظيفة إلى جميع المنازل والأحياء. وقام الأمير نصر بوقف عدد من القرى والبساتين والحدائق لضمان صيانة واستمرارية مشاريع المياه والخدمات هذه⁽¹⁴⁷⁾.

في عهد الأمير (نصر الدولة)، كان جزء كبير من حصة وثروة الإمارة يذهب لتقوية وتحسين عاصمته. وبأمر من الأمير، تم ترميم سور المدينة المحيط بها بالكامل، حيث بُني هذا السور بأحجار بيضاء كبيرة وبشكل شاهق وسميك للغاية، وقد نقش الأمير (نصر الدولة) اسمه على عدة أجزاء داخلية وخارجية منه، كما وصف (ناصر خسرو) هذا السور وعظمته في كتاب رحلاته (سفر نامه) عام (438 هـ / 1046 م)⁽¹⁴⁸⁾.

ووفقاً للمؤرخ (الفارقي) فإنه يقول: ((إن عدد المرافق الخدمية التي تم ترميمها أو إنشاؤها بأمر من الأمير تجاوز العشرين موقعا))، وهذا الاستقرار والاعمار داخل سور المدينة ومحيطها أتاح فرصة كبيرة لنمو الأسواق والتجارة، وكان سبباً في استقطاب التجار من كل حذب وصوب⁽¹⁴⁹⁾.

لم يقتصر الأمير (نصر الدولة) على تنفيذ المشاريع العمرانية في مدن الإمارة فحسب، بل أنشأ أيضاً مدينة جديدة باسم (مدينة النصرية). وكان يهدف من هذا العمل، كأى أمير آخر، أن تصبح هذه المدينة عاصمة لإمارته، بالإضافة إلى تخليد اسمه كما فعل الخلفاء والأمراء الآخرون. فضلاً عن جعلها مكاناً للسياحة والاستجمام له ولعائلته وللشخصيات المهمة التي تزوره. تقع هذه المدينة على بعد (٤ فراسخ / ٢٤ كم) من مدينة (ميفارقين)⁽¹⁵⁰⁾، ويذكر (الفارقي) قائلاً: ((بنى الأمير مدينة النصرية وأحسن عمارتها، وبنى بها قصراً مليحاً على جانب الشط، وعمل فيها الأسواق والحمامات والدور، وبنى لكل من بني عمه وأولاده دوراً، وتدبرها جماعة من الناس، وعمل دولاباً على الشط ورد الماء إليها، وعمل البساتين والبرك، وبنى الجسر الذي عند تل البنان وأحسن بنيته، وعمل على باب الصفر الذي هو اليوم بالجامع وركبه على باب قصر النصرية وعمل فيها كل ما يرام، وهي انزه المواضع وأحسنها))⁽¹⁵¹⁾، ويتضح مما سبق أن مدينة (النصرية) كانت تتوفر فيها جميع شروط بناء المدن، بدءاً من المباني والأسواق والمساجد، وصولاً إلى سحب المياه عبر نظام متطور، لتصبح مكاناً ملائماً لاستقرار الناس والعيش فيه.

لم يقتصر الأمير (نصر الدولة) في حركته العمرانية على بناء المشاريع الخدمية داخل إمارته فحسب، بل إن يد الإعمار الأميري امتدت لتصل إلى الأماكن المقدسة لخدمة الحجاج والسياح المسلمين. حيث أثبتت وثيقة تاريخية يعود تاريخها إلى عام (٤٤٥ هـ/ ١٠٥٣ م) عُثر عليها منقوشة على حجر، أن الأمير (نصر الدولة) كان قد اشترى دارين (خانين) في مدينة القدس وجعلهما وقفاً لراحة وإقامة عابري السبيل والسياح وحجاج إمارته⁽¹⁵²⁾.

وما ذكر أعلاه ليس سوى أمثلة قليلة على عدالة الأمير (نصر الدولة) في مجال الخدمات العمرانية، وتطور الحركة العمرانية بشكل عام في عهده بالإمارة المروانية، نتيجة لعدالته في توفير بيئة آمنة ومزدهرة لمواطنيه.

النتائج

بعد انتهاء هذا البحث، توصل الباحثان إلى مجموعة من النتائج، وهذه أبرزها:
أولاً: أشارت معظم مصادر التاريخ الإسلامي المعاصر للأمير (نصر الدولة) المرواني إلى عدله، وعزفته بالأمير العادل، وأوضحت أن الأمير المذكور كان حازماً وعادلاً في آن واحد (العدل مع الحزم)، وأن عهده كان من أفضل العصور وأجملها، وقد انعكس أثر عدالته بشكل واضح على واقع الحياة العامة.
ثانياً: تبين خلال فترة البحث أن عدالة حكم الأمير (نصر الدولة) كانت سبباً في استتباب الاستقرار السياسي والأمن العام، وتطور وتعزيز علاقات الإمارة السلمية مع القوى المحيطة، ولا سيما القوى العظمى في ذلك العصر مثل (الإمبراطورية البيزنطية، الخلافة العباسية، الخلافة الفاطمية)، ومع معظم القوى الإقليمية. أما على صعيد الأمن الداخلي، فتذكر المصادر أن الإمارة المروانية في عهده أصبحت ملاذاً لآهالي المناطق المجاورة بفضل العدل والأمان.

ثالثاً: كما أن تطبيق العدالة من قبل الأمير (نصر الدولة) قد أرسى دعائم السلم المجتمعي في جميع مدن ونواحي الإمارة، ووصلت الحركة العلمية والثقافية إلى ذروتها، حتى غدت عاصمتها مركزاً للعلم والمعرفة لجميع الأقاليم المحيطة بها.

رابعاً: اتضح من خلال البحث أن الإمارة المروانية شهدت في عهد الأمير (نصر الدولة) تقدماً وازدهاراً اقتصادياً لا مثيل له، وذلك بفضل السياسة الاقتصادية العادلة واهتمام الأمير بجميع القطاعات الاقتصادية، وحماية حقوق الحرفيين والفلاحين ودعمهم.

خامساً: ومن ناحية العمران والبناء، تُعرف الإمارة المروانية في المصادر التاريخية بنهضة عمرانية فريدة من نوعها في ذلك العصر، حيث كانت العاصمة ومدن الإمارة تتنافس في هذا المجال كبرى عواصم ومدن الدول القوية آنذاك. وما زالت الآثار التاريخية المتنوعة قائمة حتى يومنا هذا في مدن إقليم الجزيرة

وأرمينيا، ولا سيما في ديار بكر وميافارقين وضواحيهما، كشاهد حي على الدور العمراني للإمارة في عهد الأمير (نصر الدولة) نتيجة لعدالته في هذا المجال.

سادساً: يرى غالبية الباحثين أن طول فترة حكم الأمير (نصر الدولة) (401-453 هـ / 1011-1063 م)، والتي بلغت (52) عاماً متواصلة دون انقطاع وتعد واحدة من أطول فترات الحكم في التاريخ الإسلامي، كانت نتاجاً للسلم الاجتماعي والاستقرار السياسي والأمني الداخلي والخارجي، والذي كان يعود بالدرجة الأولى إلى سياسته العادلة والشاملة.

قائمة الهوامش والمصادر:

- (1) محمد مصطفى عثمان مصطفى البروراي، مفهوم العدالة في المنظور القرآني، اطروحة دكتوراه غير منشورة مقدمة الى مجلس كلية الاداب، جامعة العراقية، (2013م)، ص16.
- (2) الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ)، قاموس المحيط، تحقيق: انس محمد الشامي، زكريا جابر احمد، دار الحديث تحقيق: انس محمد الشامي، زكريا جابر احمد، دار الحديث (القاهرة: 2008م)، ص1161.
- (3) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية (القاهرة: 1972م)، ط2، ج2، ص588.
- (4) سورة الطلاق، آية/ 2.
- (5) سورة المائدة: آية/ 95.
- (6) ابن منظور، ابي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الافريقي المصري، (ت711هـ)، لسان العرب، دار صادر، (بيروت: د.ت). ج11، ص431-432.
- (7) احمد عطية، القاموس العراقي، ج5/ ص295.
- (8) الجرجاني، علي بن محمد بن علي، (ت816هـ)، التعريفات، تحقيق: ابراهيم الابياري، دار الريان للتراث، (دم: د.ت). ص191-192.
- (9) البروراي، مفهوم العدالة، ص22.
- (10) سورة النساء، آية 58.
- (11) سورة الحجرات، آية 9.
- (12) ابن تيمية، احمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام، (ت728هـ)، السياسة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية، تحقيق: علي بن محمد العمران، دار عالم لفوائد، (دم: د.ت)، ص134.
- (13) ابن قيم الجومية، ابي عبدالله محمد بن ابي بكر بن ايوب بن قيم الجومية، (ت751هـ)، الطرق الحكيمة في السياسة الشرعية، ص10.
- (14) الراغب الاصفهاني، ابي القاسم الحسين بن محمد (ت٥٠٢هـ)، المفردات في غريب القرآن، مكتبة نزار مصطفى الباز، (دم: د.ت)، ج1، ص422-423.
- (15) سورة النساء، آية 58.

- (16) الطبري، ابو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت310هـ)، جامع البيان في تفسير آي القرآن، تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، دار الهجرة، (القاهرة: 2001م) ، ج7، ص169-170.
- (17) التلمساني، موسى بن يوسف ابي حمو بن زيان العبد الوادي التلمساني، (ت791هـ)، واسطة السلوك في سياسة الملوك، تحقيق: محمود محمد خلف، دار الكتب العلمية، (بيروت:1971م)، ص238.
- (18) سورة النحل، آية 90.
- (19) سورة النساء، آية 135.
- (20) سورة الاعراف، آية 159.
- (21) سورة المائدة، آية 8.
- (22) سورة الحج، آية 71.
- (23) سورة ابراهيم، آية 42.
- (24) سورة النحل، آية 61.
- (25) سورة الطور، آية 47.
- (26) سورة الشورى، آية 45.
- (27) ابن حزم، ابي محمد على بن احمد بن سعيد بن حزم (ت4٥٦هـ)، جوامع السيرة وخمس رسائل اخرى، تحقيق: احسان عباس، ناصر الدين اسد، دار المعارف، (مصر: د.ت)، ص40.
- (28) الترمذي، ابو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك السلمي، (ت279هـ)، الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط2، (القاهرة:1968م)، ج3، ص608.
- (29) البخاري، ابو عبدالله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن بردزبه البخاري الجعفي (م٢٥٦هـ)، صحيح البخاري، تحقيق: مجموعة من العلماء، مطبعة الكبرى الاميرية، (بيولاق:1311هـ)، باب من ترك الفواحش، ج8، ص163.
- (30) النووي، ابو زكريا محي الدين يحيى بن شرف النووي، (ت676هـ)، رياض الصالحين، تحقيق: شعيب الارنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط2، (بيروت:1998م)، ص223.
- (31) ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، ولد في البصرة سنة (364 هـ / 974 م)، وتوفي سنة (450 هـ / 1058 م). الماوردي، نصيحة الملوك، تحقيق: خضر محمد خضر، مكتبة الفلاح، (الكويت:1983م)، ص7.
- (31) الماوردي، الاحكام السلطانية والاويات الدينية، تحقيق: احمد عبدالسلام، دار الكتب العلمية، (بيروت:1971ز).
- (32) الماوردي، الاحكام السلطانية والاويات الدينية، تحقيق: احمد عبدالسلام، دار الكتب العلمية، (بيروت:1971م).
- (33) عبدالرحمن بن نصر بن عبدالله الشيزري العدوي الطبري، المصادر التاريخية لم تذكر سنة ولادته، وقد عمل بين مدن بلاد الشام كطبيب وقاضي ومحتسب، وتوفي في سنة (589هـ/ 1193م). وللمزيد من المعلومات، الشيزري، النهج السلوك في سياسة الملوك، تحقيق: محمد أحمد دمج، مؤسسة بحسون، (بيروت: 1994م)، ص23-26.
- (34) المصدر نفسه، ص9٥.
- (35) الطرطوشي، ابو بكر محمد بن محمد بن الوليد الفهري (ت520هـ) سراج الملوك، (مصر:1872م)، ص51.
- (36) الغزالي، ابي حامد محمد بن محمد بن محمد ابن احمد الطوسي الشافعي الغزالي (ت505هـ)، تير المسبوك في نصيحة الملوك، تحقيق: احمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، (بيروت:1988م)، ص18.

- (37) ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبدالحليم (م728هـ)، الاستقامة، تحقيق: محمد رشاد سالم، ط2، (السعودية:1991م)، ج2، ص247.
- (38) ابن خلدون، ولي الدين عبد الرحمن بن محمد (م808هـ)، المقدمة، تحقيق: عبد الله محمد درويش، (دمشق:2004م)، ص477-480.
- (39) أبو العتاهية: أبو إسحاق إسماعيل بن قاسم بن سويد بن كيسان، ولد في عام (130 هـ / 748 م)، وأقام في بغداد، وتوفي في عام (211 هـ / 827 م). لمزيد من المعلومات يرجى المراجعة. ابن قتيبة الدينوري، أبو عبدالله بن مسلم بن قتيبة (ت276هـ) الشعر والشعراء، تحقيق: أحمد محمد شاكر، (القاهرة:1958م)، ج2، ص791؛ ابن خلكان، أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت681هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: محمد عبدالرحمن المرعشلي، دار احياء التراث العربي، (بيروت:2009م)، ج1، ص118.
- (40) الراغب الاصفهاني، كتاب الأغاني، (القاهرة:1950م)، ج4، ص51؛ الماوردي، ادب الدنيا والدين، ص153؛ القرطبي، أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبكر (ت463هـ)، بهجة المجالس وانباء المجالس وشذذ الذاهن والهائجس، تحقيق: محمد مرسى الخولي، (بيروت: د.ت)، ج1، ق1، ص368-369.
- (41) الشيزري، النهج المسلوك، ص151-152.
- (42) الفارقي، أحمد بن يوسف بن علي بن الأزرق الفارقي (ت577هـ)، تاريخ الفارقي، تحقيق: بدوي عبداللطيف عوض، (القاهرة:1959م)، ص49-50؛ ابن الاثير، عز الدين علي بن محمد الشيباني، (ت630هـ)، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبدالسلام تدمري، (بيروت: 2020م)، ج7، ص402-403.
- (43) أبو شجاع فنا خسرو بن سلطان ركن الدولة الحسن ابن بويه، كان أول شخص في الإسلام تُقرأ الخطبة باسمه بلقب (ملك شاهنشاه)، وأول شخص يُذكر اسمه في الخطبة بعد الخليفة، وتوفي في شوال سنة (372 هـ / 982 م) في بغداد، الفارقي، تاريخ الفارقي، ص51.
- (44) الفارقي، تاريخ الفارقي، ص51.
- (45) ابن الاثير، الكامل، ج7، ص402؛ عبدالرقيب يوسف، الدولة الدوستكية في كردستان الوسطى، القسم الحضاري، (اربيل:2001م)، ج2، ص22-23.
- (46) بنو حمدان: بنو ربيعة هم الذين كان (سيف الدولة علي) عظيمهم وأميرهم، وهو شقيق (ناصر الدولة). وقد تولى والدهما (أبو الهيجاء بن حمدان) قيادة (إمارة الحاج) من قبل الخلفاء العباسيين. كان بنو حمدان ملوكاً وأمراء، وكانوا ذوي عقول راجحة وألسنة فصيحة، وحكموا (حلب والموصل) لفترة طويلة، الفارقي، تاريخ الفارقي، ص57.
- (47) الروذراوري، أبو علي مسكوية الرازي (ت421هـ)، تجارب الامم، تحقيق: أبو قاسم امامي، (طهران:2001م)، ج7، ص211-213؛ الفارقي، تاريخ الفارقي، ص57-58؛ ابن الاثير، الكامل، ج7، ص434-435؛ أبي الفداء، عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر أبي الفداء (م732هـ)، المختصر في اخبار البشر، تحقيق: محمد زينهم محمد عرب، (القاهرة: د.ت)، ج2، ص126.
- (48) الفارقي، تاريخ الفارقي، ص58؛ ابن الاثير، الكامل، ج7، ص435؛ مونهجم باشي، ميرنشينه كوردييه كاني سردهمي عهباسي، وهركيزان: نهاده جلال حبيب الله، (هولنر: 2023م)، ص75.

- (49) الروذراوري، ذيل تجارب الامم، ج3، ص178.
- (50) ابن الاثير، الكامل، ج7، ص٤٠٣.
- (51) الفارقي، تاريخ الفارقي، ص59-60؛ ابن الاثير، الكامل، ج7، ص435.
- (52) الروذراوري، تجارب الامم، ج٧، ص213-214؛ الفارقي، تاريخ الفارقي، ص60؛ ابن الاثير، الكامل، ج٧، ص435؛ ابن العبري، ابي الفرج غريغوريوس ابن اهرن الملطي (م685هـ)، تاريخ مختصر الدول، تحقيق: خليل منصور، (بيروت: 1997م)، ص151.
- (53) الفارقي، تاريخ الفارقي، ص61.
- (54) تاريخ الفارقي، ص72-73؛ يوسف، الدولة الدوستكية، ص42.
- (55) تاريخ الفارقي، ص72-75.
- (56) تاريخ الدول والامارات الكردية في العهد الاسلامي، (مصر: 1945م)، ص105.
- (57) تاريخ الفارقي، ص77-86؛ ابن الاثير، زندهري بهري، ج7، ص436-437؛ ابن شداد، عز الدين محمد بن علي بن ابراهيم (ت684هـ)، الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء شام والجزيرة، تحقيق: يحيى عبارة، (دهق: 1987م)، ج3، ص334.
- (58) الفارقي، تاريخ الفارقي، ص80.
- (59) تاريخ الفارقي، ص86؛ ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج3، ص335.
- (60) الفارقي، تاريخ الفارقي، ص٨٨-٩٠؛ ابن الاثير، الكامل، ج7، ص437؛ ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج3، ص340-336.
- (61) الفارقي، تاريخ الفارقي، ص٩٣-٩٥.
- (62) الفارقي، تاريخ الفارقي، ص93؛ ابن الاثير، الكامل، ج8، ص174؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج1، ص98؛ ابن تغري بردي، ابن تغري بردي، جمال الدين ابي المحاسن يوسف بن تغري بردي الاتاكي (ت874هـ)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الثقافة والارشاد القومي مؤسسة المصرية العامة، (القاهرة: ١٩٢٩م)، ج٥، ص٦٩؛ ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج3، ص341؛ ابن كثير، عماد الدين ابي الفداء اسماعيل ابن كثير القرشي الدهقي، (ت774هـ)، البداية والنهاية، تقديم: محمد عبدالرحمن المرعشلي، دار احياء التراث العربي، (بيروت: د.ت)، البداية، ج12، ص88.
- (63) اسعد: تقع في المحيط الشمالي الشرقي لبلاد الكورد (كوردستان)، على أرض خصبة ومرتفعة بين المنطقة الشرقية لنهر دجلة، والذي يسمى بـ (بهتان صو) -ويسبب قربه من المدينة، يُعرف أحياناً باسم (سعد صو) أيضاً- من الجانب الجنوبي الشرقي، وبين نهر بدليس من الجانب الشمالي الغربي، وينبعث أو يصب هذان النهران في جنوب المدينة داخل نهر دجلة. كما تظهر وتُرى من شمال المدينة أيضاً جبال بدليس الشاهقة، ابي الفداء، تقويم البلدان، (بيروت: د.ت)، ص٢٨٩؛ حكيم عبدالرحمن زبير البايبري، دور علماء اسعد في الحركة العلمية في بلاد الشام و مصر خلال العهدين الايوبي و المماليك البحرية (570-784 هـ / 1175 - 1382 م)، بحث منشور في مجلة العلوم الانسانية، جامعة زاخو، مج5، عدد4، (2017م)، ص1046.
- (64) الفارقي، تاريخ الفارقي، ل91-92؛ ابن الاثير، الكامل، ب٧، ل437؛ ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج3، ص340.

- (65) ابن الجوزي، ابي الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي (ت597هـ)، المنتظم في تاريخ الامم والملوك، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، مصطفى عبدالقادر عطا، (بيروت:1992م)، ج16، ص75؛ ابن الاثير، الكامل، ج8، ص170؛ ابن كثير، البداية، ج12، ص88.
- (66) سنانسة: إحدى القبائل أو المجموعات الأرمنية التي كانت تمتلك قلاعاً وحصوناً منيعة بالقرب من منطقة (خلاط)، وكان لديهم تحالف أو اتفاق مع حاكم خلاط. واستمروا في السيطرة على هذه الحصون حتى عام (٥٨٠ هـ)، حيث تمكن المسلمون بعد ذلك من استعادتها والسيطرة عليها، الفارقي، تاريخ الفارقي، ص٧٨ - ٧٩.
- (67) الفارقي، تاريخ الفارقي، ص١٢١-١٢٢؛ ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج٣، ص٣٥٤-٣٥٥.
- (68) تاريخ الفارقي، ص179-180.
- (69) الفارقي، تاريخ الفارقي، ص١٧٧؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج16، ص75؛ ابن الاثير، الكامل، ج٨، ص١٧٦؛ سبط ابن الجوزي، شمس الدين ابي المظفر يوسف بن قز أوغلي بن عبدالله، (ت654هـ)، مرآة الزمان في تواريخ الاعيان، تحقيق: محمد انس الخن، كامل محمد الخرط، (دمشق:2013م)، ج١٩، ص١٢٥؛ ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج٣، ص٣٦٦؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج1، ص٩٨؛ ابن كثير، البداية، ج١٢، ص٨٨.
- (70) الفارقي، تاريخ الفارقي، ص١٦٩-١٧٠.
- (71) المصدر نفسه، ص١٧٠.
- (72) الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الذهبي، (ت748هـ)، العبر في خبر من غبر، تحقيق: فؤاد سيد، (الكويت:١٩٨٤م)، ج٣، ص٢٣١.
- (73) ابن العديم، كمال الدين عمر بن احمد ابي جرادة (ت٦٦٠هـ)، بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق: سهيل زكار، (بيروت:د.ت)، ج٣، ص١١٣٠.
- (74) الفارقي، تاريخ الفارقي، ص١٠٨-١٠٩.
- (75) تاريخ دول والامارات الكردية في العهد الاسلامي، مطبعة السعادة، (مصر:1948م)، ص108.
- (76) الذهبي، العبر، ج٣، ص٢٣١؛ اكو برهان محمد، ميرنشينه كورديهكان سهردهمي عباسي، (سليمانى:٢٠٢٢م)، ج٢، ص١٣٨-١٣٩.
- (77) المنتظم، ج١٦، ص٧١.
- (78) ابن الاثير، الكامل، ج٨، ص١٧٦؛ محمود ياسين التكريتي، الامارة المروانية في دياربكر والجزيرة، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة بغداد، (بغداد:1970م)، ص90.
- (79) اكو برهان محمد، الحياة الثقافية في دياربكر في العصر العباسي، مطبوعات الاكاديمية الكردية، مطبعة الحاج هاشم، (اربيل:2012م)، ص14.
- (80) خواجه ثعبو قاسم الاصفهاني، في عهد الأمير مهدي، كان حاكماً لمدينة (أرزن)، ثم في عهد الأمير (نصر الدولة) عام (401 هـ) أصبح وزيراً، ولعب دوراً كبيراً في تثبيت سلطة الأمير (نصر الدولة) عام (415 هـ / 1024 م)، الفارقي، تاريخ الفارقي، ص١١٠.

- (81) أبو قاسم المغربي، أبو القاسم الحسين بن علي بن محمد بن يوسف بن بحر بن بهرام بن المرزبان، المعروف بالوزير المغربي، وذلك لأن أحد أجداده كان مسؤولاً عن (ديوان الغرب) في بغداد، فلذلك لُقّب بـ (المغربي). اكتسب خبرة كبيرة في منصب الوزارة، وعمل وزيراً في الخلافة الفاطمية والدولة البويهية قبل أن يصبح وزيراً للأمير (نصر الدولة)، وكان من أفضل الذين تولوا الوزارة. توفي سنة (418 هـ / 1027 م) في ميافارقين، وهناك من يقول إنه توفي سنة (428 هـ)، ولكن الرواية الأولى هي الأصح، الفارقي، تاريخ الفارقي، ص ١٣٠؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج ١، ص ٢٧٧-٢٧٨.
- (82) الفارقي، تاريخ الفارقي، ص 110 وما بعدها؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج 1، ص 98؛ زرار صديق توفيق، كورد وكوردستان له روزگاری خيلافی ئیسلامی دا، (هولير: ٢٠١٢م)، ل ٢٢٦.
- (83) أبو نصر محمد بن محمد بن جهير، الملقب فخر الدولة مؤيد الدين الموصلي الثعلبي في عام (٤٣٠ هـ)، أقام علاقة مع الأمير (نصر الدولة) وأصبح وزيراً له، ومنحه لقب (كافي الدولة). وتوفي في الموصل عام (٤٨٣ هـ / ١٠٩٠ م)، ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج ٣، ص ٦٥-٦٩.
- (84) وفيات الاعيان، ج 1، ص 98-99؛ منجم باشي، ميرنشينه كورديهكان، ل ٨٨.
- (85) الفارقي، تاريخ الفارقي، ص 141-142.
- (86) زاهد العلماء: أبو سعيد منصور بن عيسى النسطور هو الطبيب الذي أشرف في ميافارقين على علاج ابنة الأمير (نصر الدولة)، كما عمل في بیمارستانها الذي شُيّد في المدينة، وله عدة كتب في الطب، ترجمها إلى العربية. ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي (ت 668 هـ)، ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي (ت 668 هـ)، عيون الانباء في طبقات الاطباء، تحقيق: نزار رضا، (بيروت: د.ت)، ص ٣٤١.
- (87) الكامل، ج ٨، ص ١٧٥.
- (88) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج 18، ص 118؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 88؛ ابن تغري بردي، نجوم الزاهرة، ج 5، ص 70.
- (89) اليافعي، أبي محمد عبدالله بن اسعد بن علي بن سليمان اليافعي اليمني المكي (م 768 هـ)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، دار الكتب العلمية، (بيروت: 1997م)، ج 3، ص 57.
- (90) الفارقي، تاريخ الفارقي، ص 149-150.
- (91) الفارقي، تاريخ الفارقي، ص 168؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج 1، ص 97-98؛ اليافعي، مرآة الجنان، ج 3، ص 57؛ ابن كثير، البداية، ج 12، ص 88؛ ابن شداد، الاغلق الخطيرة، ج 3، ص 363.
- (92) الفارقي، تاريخ الفارقي، ص ١٦٨.
- (93) المصدر نفسه، ص 154.
- (94) عبدالله بن ذخيرة الدين أبي العباس محمد بن القائم بإمرالله سمية ب ابا القاسم، ابن الجوزي، المنتظم، ج 16، ص 164؛ ابن الاثير، الكامل، ج 8، ص 463؛ الذهبي، سير اعلام، ج 18، ص 318.
- (95) الفارقي، تاريخ الفارقي، ص 153-154.
- (96) أبو الحارث ارسلان بن عبدالله وكان مماليك بهاء الدولة البويهية "لقد خرج عن طاعة الخليفة العباسي وأرسل رسالة إلى صاحب مصر، والذي قام بدوره بإرسال الأموال والسلاح إليه، وهرب الخليفة (القائم بأمر الله) بسببه، ولمزيد من

- المعلومات انظر... "، ابن الجوزي، المنتظم، ج8، ص190-196؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ب1/105؛ الذهبي، سير اعلام، ج18، ص132.
- (97) ابن الجوزي، المنتظم، ج16، ص61؛ ابن الاثير، الكامل، ج7، ص153؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج19، ص105؛ الذهبي، سير اعلام، ج18، ص319؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص79.
- (98) مرآة الزمان، ج19، ص125-126.
- (99) ابن الاثير، الكامل، ج7، ص776-777.
- (100) ابن العديم، بغية الطلب، ج3، ص1130.
- (101) جريب: "المكيال يعادل سبعة أقدرة وبعادل (٢٢,٧١٥) كيلوغراماً من القمح ينظر، فالتر هتنس، المكايل والاوزان الاسلامية وما يعادلها في النظام المتري، (جوتجن: 1955م)، ص61.
- (102) الفارقي، تاريخ الفارقي، ص114-115؛ ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج3، ص353-354.
- (103) توفيق، كورد وكوردستان، ص٢٢٣.
- (104) الفارقي، تاريخ الفارقي، ص١٠٨.
- (105) المصدر نفسه، ص١٠٩-١١٠.
- (106) المصدر نفسه، ص١١٠-١١١.
- (107) ابن الجوزي، المنتظم، ج16، ص70-71.
- (108) الفارقي، تاريخ الفارقي، ص١٦٧-١٦٨.
- (109) المصدر نفسه، ص٩٥-96.
- (110) يوسف، الدولة الدوستكية، ج٢، ص١٣٠.
- (111) المرجع نفسه، ج٢، ص١٣١.
- (112) ناصر خسرو، ابي معين الدين ناصر خسرو القبادياني المروزي (م٤٥٣هـ)، سفرنامه، ترجمة، احمد خالد البدلي، (السعودية: ١٩٨٢م)، ص34.
- (113) يوسف، الدولة الدوستكية، ج٢، ص١٣٨.
- (114) المرجع نفسه، ج٢، ص١٤١-١٤٢.
- (115) الفارقي، تاريخ الفارقي، ص١٦٥؛ يوسف، الدولة الدوستكية، ج٢، ص١٤٢.
- (116) للمزيد من المعلومات ينظر، يوسف، الدولة الدوستكية، ج٢، ص١٥٠، ص١٧٢-١٧٣.
- (117) الفارقي، تاريخ الفارقي، ص164.
- (118) سقاف محمد سعيد كوچر، الفارقي ومنهجه من خلال كتابه تاريخ ميفارقين وآمد، (اريل: ٢٠١٠م)، ص188.
- (119) يوسف، الدولة الدوستكية، ج٢، ص٢٥٣.
- (120) ئاكو برهان محمد، ميرنشينه كوردييهكان، ص١٤١.
- (121) يوسف، الدولة الدوستكية، ص235.

- (122) ابن الاثير، الكامل، ج ٨/ل 174؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج ١، ص 97-98؛ ابي الفداء، المختصر، ج ٢، ص 180-181؛ الذهبي، سير اعلام، ج ١٨، ص ١١٨؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ب ٤/ل 415.
- (123) ابو عبدالله محمد بن بيان بن محمد الكازروني، فقيه من مدينة آمد، توفي سنة (٤٥٥ هـ / ١٠٦٣ م)، ينظر، الذهبي، سير اعلام، ج ١٨، ص ١٧١-١٧٢.
- (124) الكامل، ج ٨، ص ١٧٥.
- (125) المنتظم، ج ١٦، ص ٧١.
- (126) تاريخ ابن خلدون، ج ٤، ص ٤١٦.
- (127) وفيات الاعيان، ج ١، ص ٨٨.
- (128) المختصر، ج ٢، ص ١٨٠-١٨١.
- (129) ابو الحسن علي بن عبدالواحد فقيه البغدادي، كان من شعراء مجيدين، ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج 2، ص 182-183.
- (130) ابو الحسن علي بن محمد التهامي : هو شاعر معروف، لديه ديوان شعري مشهور، قُتل سرّاً داخل السجن في مصر عام (416 هـ / 1025 م)، ابن خلكان، زبدة بصرى، ج ٢، ص 180-181؛ الذهبي، سير اعلام، ج ١٧، ص 324.
- (131) الفارقي، تاريخ الفارقي، ص ١٤٣-١٤٤.
- (132) المصدر نفسه، ص ١٦٦.
- (133) ابن الجوزي، المنتظم، ب ٨، ل ٢٢٢؛ ابن الاثير، الكامل، ج ٨، ص ١٧٥؛ يوسف، الدولة الدوستكية، ص 178.
- (134) الفارقي، تاريخ الفارقي، ص 166؛ يوسف؛ الدولة الدوستكية، ص ١٧٨.
- (135) البداية والنهاية، ج 13، ص 98.
- (136) الفارقي، تاريخ الفارقي، ص ١٤١.
- (137) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج ٣، ص ٢٥٨.
- (138) يوسف، الدولة الدوستكية، ص ١٨2.
- (139) المرجع وصفحة نفسه
- (140) الفارقي، تاريخ الفارقي، ص 141؛ ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج 3، ص ٣٥٩.
- (141) الفارقي، تاريخ الفارقي، ص ١٤١.
- (142) يوسف، الدولة الدوستكية، ص 222.
- (143) المرجع نفسه، ص ٢٢١-٢٢2.
- (144) الابشيهي، بهاء الدين ابي الفتح محمد بن احمد بن منصور، (م 854 هـ)، المستطرف في كل فن مستظرف، تحقيق: ابراهيم صالح، (بيروت: 1999م)، ج 2، ص 465؛ ابن العديم، بغية الطلب، ج 3، ص ١١٣٣-١١٣٤.
- (145) جامع المحدث: سُمي بهذا الاسم نسبةً إلى ذلك الجدار الذي يقع في الجانب الشمالي من مدينة ميفارقين، والذي كان يحتوي على سوقٍ وحمامٍ وكل ما يحتاجه الناس، ناصر خسرو، سفرنامه، ص ٢٩-٣٠.
- (146) يُعتبر من المظاهر الحضارية للدولة المروانية ما يُعتقد أن الأمير نصر الدولة قد وضعه في مسجد ميفارقين عام (٤١١ هـ)؛ حيث إن كلمة "البنكام" هي تعريب للكلمة (بنكان) التي تأتي على وزن ولفظ (سندان). وهذا التطور اللغوي

يدل على أن هذا الجهاز التقني قد تم اقتباسه من حضارات ولغات أخرى. وقد استُخدم هذا النظام في البداية بين مزارعي بلاد الهند، حيث استعملوا هذا الجهاز لتوزيع وتقسيم المياه فيما بينهم. وكان هذا الجهاز يقيس الوقت خلال الليل والنهار عن طريق مرور المياه. وكان هذا النظام يتكون من ٢٢ ساعة، ولحساب هذه الساعات كان الأمر يتطلب ملء عشرة آلاف طاسة (إناء) من الماء. وكانوا يطلقون اسم (بنك) على كل حصة ومقياس من تلك المقاييس والأسهم المائية. لمزيد من المعلومات، يرجى المراجعة، السيد ادى شير، كتاب الالفاظ الفرسية المعربة، (بيروت: 1908م)، ص 28؛ يوسف، الدولة الدوستكية، ج ٢، ص ٢١٠-٢١٥.

(147) الفارقي، تاريخ الفارقي، ص ١٠٨.

(148) سفرنامه، ص ٢٩.

(149) تاريخ الفارقي، ص ١٦٣-١٦٤.

(150) ناصر خسرو، سفرنامه، ل ٣٦.

(151) تاريخ الفارقي، ص ١٤١-١٤٢.

(152) توفيق، كورد وكوردستان، ص 228.